الكاتب
محمد عبد الحكم حسن
ومعالم فنه القصصي

"دراسة موضوعية فنية"

إعداد

دكتور

مصطفى فاروق عبد العليم

مدرس الأدب والنقد في كلية
الدراسات الإسلامية والعربية
جامعة الأزهر فرع البنات - بني سويف

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الكاتب
محمد عبد الحكم حسن
ومعالم فنه القصصي
-دراسة موضوعية فنية-

د/ مصطفى فاروق عبد العليم
مدرس الأدب والنقد في كلية
الدراسات الإسلامية والعربية
جامعة الأزهر فرع البنات ــ بني سويف

نشأته وحياته:(١)

في قرية من قرى مصرنا المعطاءة، هي قرية(مهدية) مركز المنيا التابع لمحافظة المنيا كان مولد الكاتب(محمد عبد الحكم حسن)، أما الزمان فهو ١٤ من نوفمبر سنة ١٩٦٤م.

وقد ذاب في هوى قريته (مهدية)، ووهبها من عقله، ووجدانه كثيرا من ذوب شعوره، وفيض فؤاده.

وقد سيطرت أخلاق القرية على سلوكه فكان بارا بوالديه شديد التعلق بأصدقائه، وأقربائه.

كما كان بارا بإقليمه شديد التعلق به، وكان يعتز بالانتماء إليه شديد الغيرة عليه، كما لعب عمله موظفا بالإدارة الصحية بالمنيا دورا في تعلقه بإقليمه، ومعايشته لمشكلات مجتمعه، وبخاصة دوره الرائد في تنمية المجتمع بقرية (مهدية) حيث إنّه يرأس جمعية تنمية المجتمع بها.

---

(١) استقيت مادة التعريف بالكاتب من حديث مسجل معه بحوزة الباحث.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وقد قدّم الكاتب للمكتبة الأدبية أعمالا فنية رائعة تمثّلت في قصصه، وروايته ومن ذلك:

١) لحظة سقوط الجسد

مجموعة قصصية ط الهيئة العامة لقصور الثقافة إقليم وسط وجنوب الصعيد ٢٠٠٠ م.

٢) تراب البيت القديم

مجموعة قصصية مخطوط.

٣) المجانين على أبواب المدينة

مجموعة قصصية مخطوط.

٤) بستان أبي الهوى

رواية ط مجموعة أجيال لخدمات التسويق والنشر والإنتاج الثقافي ط القاهرة ٢٠٠٨ م.

٥) سر

رواية مخطوط.

٦) التفاتة النمر

رواية مخطوط (قيد النشر بالمجلس الأعلى للثقافة).

٧) مجلس القمري

رواية مخطوط (قيد النشر بالمجلس الأعلى للثقافة).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٨) مجموعة من القصص القصيرة مخطوط.

وقد فازت قصته(فرس النمل) من مجموعة المجانين على أبواب المدينة بجائزة أخبار الأدب للقصة القصيرة سنة (١٩٩٩م).

كما فازت قصته (خطوطك لا يقرؤها أحد سواك) بالمركز الثاني في مسابقة نجلاء محرم للقصة القصيرة.

كما فاز الكاتب بجائزة وسط وجنوب الصعيد أعوام ١٩٩٨،١٩٩٩، ٢٠٠٠م.

وأخيرا فازت روايته(مجلس القمري) بمركز أول في مسابقة إحسان عبدالقدوس.

ومن ثم فيعد الكاتب (محمد عبد الحكم حسن) مادة خصبة للدراسة الأدبية، وأسال الله تعالى أن يوفقني على ارتياد هذه الأرض البكر؛ لأسهم في إلقاء الضوء على أدب ذلك الكاتب المبدع، ولأضيف للمكتبة العربية لبنة تشع بالعلم، والمعرفة.

وتأتي أهمية هذا البحث في أنّه يعد أول دراسة تكشف عن الكاتب، وعن نتاجه الأدبي، وتقدمه للقارئ، وللمكتبة العربية حلقة في سلسلة الدراسات الأدبية، والنقدية.

والباحث في قصص(محمد عبد الحكم حسن)لابد أن يضع نصب عينيه أمورا تركت بصمات جلية في قصصه، ومنها:

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

١ــ عصره:

لعب المناخ التاريخي الذي عاش فيه الكاتب دورا بارزا في تشكيل المعطيات التي شاركت في تحديد موقفه فمن المؤكد أنّ الواقع السياسي، والاقتصادي، والاجتماعي المصري بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣م قد شهد حدوث تحولات مفاجئة، كما شهد وقوع تغيرات ثقافية عنيفة في بنية المجتمع المصري انعكست بدورها في أنماط الإنتاج الاقتصادي، وأساليب الحياة الاجتماعية التقليدية التي كانت سائدة قبل حرب أكتوبر ١٩٧٣م، وما تلاه من انفتاح اقتصادي، واتساع الهوة بين طبقات المجتمع، وما عاناه المجتمع المصري، وبخاصة في الصعيد.

كما كان لمشكلة البطالة، والفقر، والقهر الاجتماعي، وإلغاء قانون الضريبة صدى في إبداعات الكاتب كما في مجموعته (لحظة سقوط الجسد) وغيرها من قصصه.

٢ــ تأثره بأدباء عصره، وخصوصا أدباء إقليمه كالدكتور/عبد الحميد إبراهيم، والدكتور/جمال التلاوي، والدكتور/ منير فوزي، وذلك من حيث تحديد فكره، وإبراز لغته.

كما تأثر الكاتب(محمد عبد الحكم حسن) بيوسف إدريس، وخيري شلبي، وقاسم مسعد فأخذ عنهم، وبخاصة يوسف إدريس حيث اللغة الخلّاقة، والأسلوب المشف عن الرغبة في إصلاح المجتمع.

٣ــ بيئته التي نما، وترعرع بين أحضانها فقد كانت رواسبها سببا في سيطرة هموم الريف على نتاجه، كما لعبت هذه البيئة دورا بارزا في التزامه الأخلاقي في أعماله الفنية.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٤ــ اتجاهه الأدبي فالكاتب منحاز بحكم العصر، والبيئة إلى التيار الرومانسي، والتحليل النفسي والاستبطان الذاتي فــ(محمد عبد الحكم حسن) مــن هــؤلاء الأدباء العاكفين على الذات، والتحليق في عوالم الأحلام، وإيثار العاطفة علــى العقل، والأديب ما هو إلا فرد في مجتمعه يعيش فيه يتأثر بــه، ويــؤثر فيــه، والأديب وهو يعبّر عن ذاته إنّما يعبّر عن كــل ذات فــ"الوسيلة الوحيدة لفهــم نفسية الغير، هي أن نفهم نفسيتنا نحن، ومعنى هذا أننا كلما ازددنا فهما لنفسيتنا ازددنا فهما لنفسية الغير، ومعناه ــ أيضاــ أنّ أكثرنا تعمقــا فــي نفــسيتهم، وأشدنا عكوفا عليها، واستقصاء لأحوالها، وتتبعا لما يجدونه في أعماقها، هــم أقدرنا على فهم غيرهم، وأن أكثرنا انصرافا عن التأمل في نفوســهم، وأشــدنا اهتماما بالغير، واندفاعا إلى الاختلاط بهم، هم أقل الناس درايــة بشخــصيات الرجال، والنساء، وطبائع البشر، وسرائرهم "[1].

ولا نعد أنفسنا مجانبين للصواب إذا قلنا: إنّ نشأة الكاتب الدينية في قريتــه (مهدية) جعلته مهموما بآلام، وهموم مجتمع القرية فــ(محمد عبد الحكم حسن) برع في تصوير مجتمع القرية والريف.

٥ ــ الروافد التي غذت عقله، وصقلت فكره، وأسهمت في تكوين شخــصيته الأدبية، فقد حفظ القرآن منذ نعومة أظفاره على يد والده المأذون الشرعي، وفي الكتّاب بقريته، وحفظه لكثير من الأحاديث الشريفة، وحفظه للبردة، والشاطبية كما كان لإطلاعه على مقررات كلية الدراسات الإسلامية والعربية عن طريق أخيه الذي كان طالبا بها أثرا بينا في زيادة حرصه على استخدام الفصحى.

---

(١) ثقافة الناقد الأدبي لمحمد النويهي (دكتور) ٣٢٣ دار الثقافة بيروت بدون تاريخ.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وسوف نلقي الضوء فيما يأتي من صفحات على أهم القضايا الموضوعية في قصص (محمد عبد الحكم حسن)، ثم نعرض للخصائص الفنية لهذه القصص، ووسائل الكاتب الفنية التي استعان بها، وذلك على النحو التالي:

أولاً: القضايا الموضوعية في قصص (محمد عبد الحكم حسن):

١ـ هموم المجتمع:

عانى المجتمع المصري، وبخاصة في الصعيد من انقسامات جديدة أضيفت إلى بنية المجتمع وأهمها الانقسامات الطبقية نتيجة تدعيم صور التميز الطبقي، ورسم السياسات التي تخدم فئات بعينها، والفشل في تدعيم مبدأ المساواة، وتحقيقه من خلال سياسات عملية، والصورة الماثلة هي تآكل الطبقة الوسطى، والانحدار نحو مجتمع النصف بالمائة الذي قضت عليه ثورة ١٩٥٢م.

ومن ناحية أخرى نجد الإشكاليات على المستوى الثقافي فقد تجردت المفاهيم الثقافية من الثقافة القومية، أو ثقافة الشعب حيث سقطت ثقافة التاريخ، والهوية في أحضان العولمة، والحداثة.

إذا كان هذا حال المجتمع بوجه عام فإن الطامة الكبرى كانت في الريف في مواجهة هذا التيار الجارف، ومن ثم كان حال القرية كالساعي إلى الهيجا بغير سلاح.

تلك هي الفترة الزمنية التي عاش فيها الكاتب، وعاش أحداثها، ولا شك أنه تأثر بمجريات الأمور فيها " إذ يحدث عادة أن يرى الفنان ما لا يراه غيره من عامة الناس من ألوان، وأشكال، وأصوات في الطبيعة، ومن معان، وأحداث في

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الحياة فيحقق بفنه، وأدبه ما هو أشد جمالا، وتأثيرا في النفوس من جمال الطبيعة، أو موجودات العالم "[1].

ولقد لعبت المكونات الثقافية للكاتب دورا مهما في تشكيل رؤيته، وقضيته.

واستطاع (محمد عبد الحكم حسن) عبر قصصه أن يعبّر عن هموم مجتمعه من خلال تناوله للعديد من القضايا الاجتماعية، ومنها:

أ ــ الفقر والتهميش الاجتماعي في المجتمع الريفي:

يلعب الفقر دورا بارزا في تشكيل أبناء المجتمع من حيث تشكيل نفسيتهم، وما ترتب عليه من سلوكيات متبادلة بينهم، فـ " يعد الفقر قاسما مشتركا يضرب بجرائة، في كل الأفات الاجتماعية التي يتعرض لها المجتمع، وبخاصة في الريف حيث إنّه يتآخى مع الجهل، والمرض، والتخلف، والنفاق، والعادات والتقاليد البالية، والتفكك الأسري، والسحر، والشعوذة، وما إلى ذلك من ألوان التمزق الاجتماعي "[2].

ولقد ارتبط قصص الكاتب (محمد عبد الحكم حسن) بإقليمه ومجتمعه الريفي، ونقل محنه، وعبّر عما ساده من فقر، وبؤس.

---

(١) مقدمة علم الجمال وفلسفة الفن لأميرة حلمي مطر (دكتورة) ١٢ الطبعة الثالثة دار غريب القاهرة بدون تاريخ.

(٢) التيار الاجتماعي في قصص عبد الحليم عبد الله "اتجاهاته وخصائصه" لرزق محمد سيد داود (دكتور) مجلة كلية اللغة العربية بإيتاي البارود العدد ١٤ صـ ١٥٩ التركي للكمبيوتر وطباعة الأوفست طنطا ١٤١٨ هـ / ١٩٩٨ م.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ومن ضحايا الفقر التي تناولها الكاتب، والتي تعد نموذجا واضحا لأثر الفقر على صاحبه (أبو الهوى)، والذي باع حماره من أجل شـــراء حـــذاء، وفـــول سوداني، وبطيخة " في أحد الأسواق رآه مع الرجل، فاصـــل وبـــاع الحمـــار، واشتراه يعلم أنّ للحمار أربعة حوافر تغوص في التراب، وتخلف حفرا ولكنها حفر تتشابه، وحفر جميع الحمير، والدواب والأقدام.. اختفى الحمار بصاحبه الجديد، وأبو الهوى يغوص في أحلامه، كان السوق يموج، فعاد محملا بما تبقى من نقود، وملأ المنديل المحلاوي بالفول السوداني، وبطيخة، والنعل القديم"[١]

ثم يرسم لنا الكاتب أثر بيع أبي الهوى لحماره على زوجته.

" ــ بعت الحمار يا هايف وأنا اللي عاوزة أعملك راجل. صمت السنين نطـــق أمام الشامتين، وهم الدنيا طفح على الفم فراحت تلعن حظها المايل دون نـــسوة الطوابين، وتلعن يوم رضائها به ذلك(السنكوح) معدم الأهل، والمال "[٢].

ثم كانت لحظة النهاية الحتمية، وكان الفقر من أسبابها الرئيسة" تنهض بجسد يتفجر غيظا، وقد أسرّت أنّ هذه الليلة ستكون نهايته " [٣].

وفي قصة (نقوش على الرمل)[٤] تبرز بوضوح مأساة الفقر في القريـــة، والمدينة، وكيف أنّ تداول الأيام، وتعاقب الأزمان لم يغيرا وقـــائع المجتمـــع، ومعاناة أبنائه من الفقر فنرى معاناة محمد ابن القرية، وتركه لقريته من أجـــل

---

(١) رواية بستان أبي الهوى ١٣، ١٤.

(٢) السابق ١٥.

(٣) السابق نفس الصفحة.

(٤) من مجموعة (لحظة سقوط الجسد) صـــ ١٩: ٢٤.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

العمل في المقاولة يعبّر عن تهميش المجتمع له فيخاطب نفسه قائلا:" قليل من الرمل في حنجرتك يا ابن (مهدية) تود أن تبصقه في وجوه العمارات، والشوارع التي ترفضك، تتأمل جيدا هذه العمارات، والشوارع والأبنية التي رفعتها قالبا قالبا ودورا دورا، ترفضك تضغطك إلى أسفل لتقف في الشارع منكس الرأس تنتظر أقرب تاكسي "(١).

هكذا كانت مأساة محمد ابن القرية (مهدية)، وما يلقاه من تهميش اجتماعي بسبب فقره، فيلعب الفقر دورا مهما في نفسيته، ومشاعر البطل الذي أصبح تائها بين متاعب المجتمع، وآلامه، فيقول:" وقد ألقيت بحقيبة سفرك في جوارك وراحت يدك المتعبة ترفع فنجان الشاي إلى فمك والأخرى تنقش على أقرب كومة من الرمل حروفا تائهة " م٠ح٠م٠د".(٢)

وهنا يبرز لنا الكاتب صورة مأساة (محمد)، وما يعانيه من فقر؛ ليبرز شخصية تائهة عبّر عنها الكاتب بحروف اسمه المكتوبة حرفا حرفا، فكذا (محمد) مشتتا تائها بين أبناء مجتمعه.

ويمكننا القول: إنّ الفقر، والبؤس الذي رسمه(محمد عبد الحكم حسن) في قصّه إنّما هو صورة لما يعانيه أبناء المجتمع، وبخاصة في الريف، فالتزم الكاتب في وصفه بالواقع، والصدق مما كان له أثر السحر على قارئه.

---

(١) السابق صـ ٢٤.

(٢) السابق نفس الصفحة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ب ــ الأمراض الاجتماعية:

أبرز الكاتب (محمد عبد الحكم حسن) في قصصه العديد من الأمراض الاجتماعية ومنها:

١ ـــ التحلل الأخلاقي:

تعرّض (محمد عبد الحكم حسن)- وهو الرجل الريفي المتدين- لكثير من الخطايا الجنسية التي يغص بها المجتمع، وكان أسلوبه في التناول مبرزا لأسباب، وآثار هذا التحلل الأخلاقي، وإن كان يعوّل كثيرا على فقد الجانب الأخلاقي، والجهل للوقوع في الرذيلة ففي قصة (خطوطك لا يقرؤها أحد سواك)[١] يبرز لنا الكاتب أنّ الجهل كان سببا في وقوع بنت القرية في الرذيلة فيقول: " كم كنت أقرؤها.. تلك الخطوط المتشابكة المبهمة . أنا التي لا أفك خطا أو أقرأ طالعا . طلاسم لا يفهمه أحد غيرنا، أنا... وأنت... "[٢]

كما أنّ الأحلام الكاذبة لعبت دورا في تيسير أمر الرذيلة فيقول: " وأتخيلني معك في هذا الزحام المندهش لرقصنا الجنوبي.

والمطرب النحيل ينهل من بحر المواويل، ويصب بصوت حنون، فيرتعد العصفور الساكن بين ضلوعي ويغب ويشرب، يرقص يخفق ويحلق بين الضلوع، ضلوعي التي تدغدغها أصابعك المرحة فتعلو ضحكاتي.

---

(١) الفائزون مسابقة نجلا ء محمود محرم الدورة الثانية ٢٠٠٢ م ط الأولى مركز الحضارة العربية القاهرة.

(٢) السابق ٢٩.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أنا..وأنت.. هكذا أوهمني خيالي الشقي "[1].

إنّها الأحلام الزائفة، والتي لا يتبعها إلا ذل العار فبعد حملها من الرذيلة، يتحرك بأحشائها ابن الخطيئة تسّود الصورة، ويعفّر التراب الوجوه فيقول: " كلما تحرك مادت بي الأرض، وهوت وخاصمتني الأشياء فوجدتني عارية وسهام العيون الشامتة تخترقني، والأقدام المتسخة تدق وتدوس على شال أبي الأبيض فيتهلهل تحت إيقاعات أقدامهم الجنائزية وبيدين عريضتين يهيل أبي التراب على رأسه بغزارة، نهنهاته الحزينة ترتفع الوجوه التي أمامه تستحيل ظهورا تبتعد شامتة ولاعنة، وحيد أبي حيث الخلاء والتراب الذي أوشك أن يغطي رأسه "[2].

ثم يرسم الكاتب بحسه الريفي كيف ينبذ المجتمع أصحاب الخطيئة " كل الأشياء باتت تسحقني حتى الكلب الأجرب الراقد هناك على حافة المصرف لم يعد يبتعد عن طريقي بل حملق فيّ اليوم بعينين ماكرتين " [3].

ثم كانت النهاية الحتمية لمثل هذه الفعلة في المجتمع المصري، وبخاصة الريفي فيغسل والدها عاره بسكينه " يأتي أبي بجسده الكبير، يسد المدى بكفتيه العريضتين، وبعينين ناريتين يتفحص جسدي، تلكما العينان اللتان تعلنان بأنّه مقبل غير مدبر، يحمل النار، والعار والسكين الحامي ذلك السكين الذي تركت عينيي كل الملامح /الوجوه/الخطوط/الأشجار.. وتمسمرت عليه.

---

(١) السابق ٣١.

(٢) السابق ٣٣، ٣٤.

(٣) السابق ٣٤.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ذلك السكين الذي يطعن الآن في خدر لذيذ جسدي الطري، فأهوى وأتلوى على الخطوط أتحسسها، أخاديد متشابكة يتدفق فيها دمي الساخن.. يملؤها.. تلك الخطوط السميكة المتشابكة والتي لا يقرؤها أحد سواك "[1].

وعلى الرغم من إبداع الكاتب في تصويره للتحلل الأخلاقي، وأثره على المرأة إلا أنّه لم يكن منصفا حين جعل التبعة (الجزاء) كلها تقع على عاتق المرأة،وأهلها فلم يلق الرجل جزاء ما فعل.

وتدرج الكاتب في قصته مع المتلقي إلى أن انتهى به إلى لحظة الحسم، وهي استنكار المجتمع لهذه الرذيلة، ثم قتل الوالد لابنته.

نموذج آخر للتحلل الأخلاقي تعرّض له الكاتب، وهو عائلة الطوابين، وكبيرهم تلك التي روى لنا حكايتها في رواية (بستان أبي الهوى) فلقد فقدت عائلة الطوابين مجدها، وأرضها بسبب السهر، والغوازي هذه الأرض التي ورثوها عن أبيهم الطواب الكبير " كل ذلك يدور تحت عمامته، وهو يتأمل الطوابين بحسرة، ويستعرض أمامهم تاريخهم المزري بعد أن مات الطواب الكبير، الذي استطاع بحصانه وكرباجه، ومكره أن يستولي على هذه الأرض من الأتراك ويزرع ويضيف حدودا وناسا ومجدا.

ـــ عملتوا إيه، بعتوها شبر شبر على السهر والغوازي.

ودّ سعيد الطواب أن يفجّر الكلمات في وجهه لولا المسدسات العامرة بالرصاصات.

---

(١) السابق ٣٥.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ـــ ما أنت أولنا يا حج.. حد عرّفنا بيت فوزية غيرك "[1].

ثم يؤكد الكاتب أنّ حياة المجون، والتحلل الأخلاقي إنّما سببها الرئيس هو توارثها من الآباء " من قال انّ الألسنة الصامتة تكاد تنفجر، وتطرقع كالرابيج في المندرة الوسيعة لتوجه الاتهام إلى كبير الطوابين "[2].

إنّ الأموال الطائلة، والأرض الواسعة التي ورثها الطوابون عن أبيهم الطواب الكبير ضاعت كلها على تلك الغانية (فوزية)، ويرسم لنا الكاتب صورة مريبة للمجتمع الريفي عندما يبرز أنّ إخوة الغانية (فوزية) على علم بما يحدث، وأنّهم اشتروا أرض الطوابين بأموالهم التي أخذتها فوزية منهم " من قال انّ أخوتها الرجال الذين يشترون الأرض والبيوت غير عارفين ؟ أليس الآن على ضوء مصباح باهت يعدون نقود الليلة الماضية، ويضحكون في عبهم ؟

من قال انّ كبير الطوابين عندما باع آخر فدان وقبض الثمن وفرد النقود أمامه سقط مغشيا عليه.. فقد كانت نفس أوراق النقود التي بعثرها بالأمس على صـــــــــدرها.

من قال انّ الطوابين سلكوا نفس الطريق.. حتى مرابط الحمير باعوها"[3].

ويواصل الكاتب رسم صور التحلل الأخلاقي الذي أصاب القرية عندما يبرز أنّ الحاج كبير الطوابين حرّض (سعيد الطواب) على التحرش بابنة عمه ليضع أنفها في الأرض، ويجبرها على التنازل، واستعان الكاتب في عرضه للتحلل

---

(١) رواية بستان أبي الهوى ٣١،٣٢.

(٢) السابق ٤٠.

(٣) السابق ٤٠، ٤١.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الأخلاقي في القرية بأسلوب الاستفهام الإنكاري التوبيخي فيقول: " من قال أنّ بنت عمهم رجلها برقبة ألف رجل حين حافظت على أرضها وعرضها ووصية أبيها الذي مات كمدا من أفعالهم ؟

من قال انّ سعيد الطواب حام حول بنت عمه، وطلب الود، والوصال ولمّا لمس صدرها صرخت ودوبت الشبشب على فمه وسط دهشة الطوابين ؟

من قال انّ في لحظة صفاء بين الطوابين وفي حضور آذان ابن زكية العرجاء أتضح أنّ الحاج نفسه هو الذي حرّض سعيد على ذلك ليضع أنفها في الأرض ويجبرها على التنازل"[1]

ومثل هذه الخطايا كثير في قصص (محمد عبد الحكم حسن)، ونحن نأخذ عليه –أنّه بما أوتي من قدرة لغوية – استطاع أن يثير القارئ دون أن يأتي بأسباب مقنعة لهذا التحلل الأخلاقي، وكنّا نتوقع أن يبرز لنا أسبابا للخطيئة، وليس مجرد نهايات تربوية مأساوية.

ومن المعايب ــ أيضا ــ أنّ المؤلف يمنح نفسه كل الحق في الحديث على لسان جميع الشخصيات، وفي قطع السرد في الوقت الذي يريد، إما لاستعراض معلوماته، أو ليعظ قارئه أو لينبه إلى غرابة الأحداث التي يقدمها، أو ليقدم له شخصية فاته أن يعرفه بها، أو للتعليق على الأحداث بحكمة أو مثل، أو بالشعر الذي يعلّق به على الأحداث[2].

---

(١) السابق ٤١.

(٢) راجع : تطور الرواية العربية الحديثة في مصر لعبد المحسن طه بدر (دكتور) ١٦٨ القاهرة دار المعارف ط الثالثة ١٩٧٧م.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ويؤخذ عليه ـ أيضا ـ نهايته المفتعلة للحدث، ومصادفاته الغير منطقية، ومنها عدم إدراك كبير الطوابين أن الأموال التي ينفقها على العائلة (فوزية) هي نفسها التي يشتري بها إخوتها الأرض إلا عندما يبيع آخر فدان فيقول: " عندما باع آخر فدان، وفرد النقود أمامه سقط مغشيا عليه.. فقد كانت نفس أوراق النقود التي بعثرها بالأمس على صدرها " (١).

٢ـــ العداوات والأحقاد:

كما تناول (محمد عبد الحكم حسن) صورا من التحلل الأخلاقي في القرية المصرية فإنه لم يغفل ـ أيضا ـ عن تصوير جانب كئيب منها، والذي يكمن في الطمع، والجشع، والظلم، والحقد، وما يولده من صراعات ففي قصة(طفل النهار)(٢) " كانوا هناك يتصارعون.. بينما كان الظل ينحصر، وأنا أتأمل عصيا تقلم الريح وتكتب حروف الغضب في فراغات الشوارع، أقدام تتدافع وتتجمع وتتلاصق على مفرش الظل، جيشان يتأهبان ويتوجهان ويتقدمان، فتكش المسافات عيون تحدد وغل قديم يفجّر الصمت، وسياط عيون تمزّق خيوط الود.. لحظات وتنزل العصي على أمم الرؤوس، عمّ الغضب، والقسوة ونار الأفران و..

ـ الدم هيبقى للركب "(٣)

---

(١) رواية بستان أبي الهوى ٤٠.

(٢) ضمن مجموعة (طفل النهار) صـ ٢ مخطوط بحوزة الباحث.

(٣) السابق نفس الصفحة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ثم يرسم الكاتب صورة لانتهاء المعركة فيقول:"

– وحدوا الله ياجماعة

قالها المندفع في قلب الجحيم ووضع رأسه على القفاء العصي وكشف عن شعره الأشيب.

– راسي أهبه اللي عاوز يضرب يضرب

– مين.. أبو محمد.. كان أبي

– يا جماعة عمر الدم ما يبقى ميه

مفرش الظل لا يزال على حاله، ورطب الكلام يطفي نار القلوب وأبي يلملم خيوط الود والمعروف والنسب المنسي..وأنّ زمان الحكام انتهى ولا غالب ولا مغلوب.

زغاريد تعلو، وعصي تلف، وأجساد ترقص."(١)

وهكذا نجد الكاتب قد استوعب القرية ومشكلاتها فتناولها تناولا مثيرا.

ويؤخذ على (محمد عبد الحكم حسن) في قصته أنّه لم يبرز لنا سببا مقنعا لهذا الصراع، ولا سببا مقنعا لانتهائه غير تدّخل والده المفتعل، وليته ذكر أنّ الدافع هنا هو الظلم، أو الطمع في الميراث مثلا، أو تعدي الزوج على زوجته، أو غير ذلك.

---

(١) قصة طفل النهار ضمن مجموعة (طفل النهار) صـ ٢٢، ٣.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وبينما يرسم لنا الكاتب صورة الريف ذا الهواء النقي، والطبيعة الخلّابة "والبحر ينام خلف أشجار الموز القريبة، ساكنا كتمساح، الساقان ستوصلان مهما كانت النتيجة ".(١)

يرسم لنا صورة أخرى للعداوة والحقد بين أحضان هذه الطبيعة الخلّابة بعد النص السابق مباشرة فيقول: "الشتائم من حوله تتناول الحكايات المختبئة في فراغات السنين".(٢)

ومن ثم نرى مشهد العداوة، والحقد، ولم يبرز لنا الكاتب سببا مقنعا كعادته، ولا نهاية منطقية لهذه العداوة، وإنّما يبرز لنا معلومات استطرادية، ووصف للطبيعة، والأشخاص لا يساعد على نمو الأحداث بل يعوقها لننسى الموضوع الرئيس.

ولا يدري القارئ ما هي هذه الحكايات المختبئة التي يتحدث عنها الكاتب ثم يقول:"بيد مدربة سربوا سنين حياته كالقمح على الطبلية الكبيرة في شمس الشتاء الحنون، القوا برديئها في وجهه ونسوا ــ وتنهد ــ ونسوا كل جميل"(٣).

ولا يدري القارئ أيضا الجميل الذي قدّمه ليتعاطف معه"أولاد عمه يشم رائحتهم بين الواقفين يشيرون، يحرضون، يلقون الشتائم الجماعية، وجوقة المصطفين تنطلق، تملأ الدنيا تزداد الأرجل، والأصوات من حوله، توبخه، تذكره بضياع العز والبغددة، ينكفئ الجسد، يعافر، يقف، يمضي يختلس

---

(١) قصة يسقط إلى الأبد ضمن مجموعة (لحظة سقوط الجسد) ٩٤.

(٢) السابق نفس الصفحة.

(٣) السابق نفس الصفحة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

النظرات، وجوه أولاد العم لم تعد نفس الوجوه القلوب استحالت ألغازا أقفال من صلب "[1] ينجح الكاتب في تلك الصورة أن يصوّر حدثا فنيا يجمع بين ما هو مرأي، ومتخيل كما تكشف لنا القصة صراعا عنيفا بين قيم الأمس، وقيم اليوم، والواقع الذي نستنتجه من حديث الكاتب عن القرية من خلال قصصه أنّه كان بارعا في تصويره للصراع القروي، وإن لم يبرز لنا أسبابا مقنعة كما أنّ نهاياته بدت مفتعلة في أكثرها، وأنّ وصفه الخلّاق الذي استطرد فيه كثيرا عاق نمو الحدث في قصصه.

٣ـــ السرقة وقطع الطريق:

وهي إحدى المشكلات التي يستشري خطرها في القرية المصرية، وبخاصة في الصعيد، ويتوارثها الأجيال، كما في رواية (بستان أبي الهوى) فـ(سعيد الطواب) ورث فساده الاجتماعي من والده (بدران) كان أبوه بدران ألعن منه، حيث كان يسرق الغلال محمصة من على بلاط الفرن، ويذهب بها إلى بيوت الغوازي، وكان يتسلق الجدران متلصصا على نساء إخوته، وكرباج الطواب ما طاله، فقد كان يبيت الليالي خارج الدوار، ويعود في الصباح مهدلا ليأكل، ويسرق، ويأخذ، كان بجحا لحد الفظاظة، لئيما "[2]

---

(١) السابق نفس الصفحة.

(٢) رواية بستان أبي الهوى ٦٨.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ونجح الكاتب حينما أبرز سبب فساد (بدران) الاجتماعي بسبب القصور في التربية، وصدق المعري (ت: ٤٤٩ هـ) حين قال: [١]

وينشأ ناشئ الفتيان منا ..... على ما كان عوّده أبوه

وما دان الفتى بحجى ولكن ..... يعلمه التدين أقربوه

فورث سعيد فساده الأخلاقي عن أبيه (بدران) الذي اكتسبه من سوء تربية أبيه له، ولقد أنصف الكاتب حين أبرز لنا النهاية الحتمية المأساوية لـ(بدران) فكان عاقبة أمره خسرا "وكان عقابه أمر، حين مات علد إحداهن مسموما بدم الحيض، فخلف الثأر، والعار، وطأطأة العمائم ربما حكى لها كثيرا عن الطوابين ولكن الألعاب بعثرت تلك الحكايات والذكريات فلا تحتفظ منها إلا بالقليل " [٢].

ويبرز لنا الكاتب نموذجا ثان لما يعتري الريف من فقد للأمان في قصته (الظلام وحده لا يحجب الرؤية) [٣] فهذه المرأة الفقيرة التي تعاني من قسوة الحياة لتحصل على لقمة العيش، وبعد يوم مرير من العمل مع طفلها يخرج لها قطاع الطريق فيختطفونها.

---

(١) اللزوميات لأبي العلاء المعري تحقيق / أمين عبد العزيز الخانجي ٤ / ٤١٣ ـــ مكتبة الهلال ـــ بيروت ـ بدون تاريخ.

(٢) رواية بستان أبي الهوى ٦٨.

(٣) ضمن مجموعة (لحظة سقوط الجسد) ٥: ٩.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

"ازداد خوفي عند سماعي خشخشة في أعواد الذرة الخشخشة تزداد، تقترب، تختفي صوت يستوقفنا، صوتان ثلاثة يجرون أمي بقوة تزداد الخشخشة يختفي صوت أمي المتحشرج وهي تستغيث، ينخفض، يندثر.

أمي أمي ي ي ي ي ي ي ي

حملقت في التراب فلم أجد آثارا لقدميها "[1]

وعلى الرغم من براعة الكاتب في رسمه لأفكار، ووجهات نظر فلسفية، واجتماعية نصل إلى صورة سوداوية للعالم الذي يعيشه الكاتب حيث تحكي القصة عن امرأة فقدت زوجها فكان عليها في غياب زوجها القيام بمهامه، والمرأة خرجت في هذه القصة بصحبة طفلها الصغير، وبعد يوم عصيب كان جزاء تفانيها في عملها أن لحق بها قطاع الطريق بهدف السرقة، أو الاغتصاب.

هكذا رسم لنا الكاتب نهاية مأساوية منحت الحياة في الريف صورة سوداوية لدى القارئ وكأننا لا نجد في هذا الريف إلا الفقر، والتحلل الأخلاقي، والسرقة، وقطع الطريق.

جـ ـ الأمراض العضوية:

استطاع الكاتب(محمد عبد الحكم حسن) أن يرسم صورة للأمراض في المجتمع الريفي استطاع من خلالها أن يلفت أنظار معاصريه إلى خطورتها، ومن هذه الأمراض فيروس ـ C ـ.

---

(١) السابق ٩.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

في قصة (لحظة سقوط الجسد)[1] " قال أخصائي التحاليل في مستشفى المدينا العام ان دمي لا يصلح أن يضخ في شرايين بنت أختي المصابة بجفاف حاد ولما قلت ان فصيلتي نفس فصيلتها همس في أذني:

ـ عندك فيروس ـ C ـ

فتركت لقدمي المنهكتين السير بلا هدف "[2].

وهنا يشير الكاتب إلى المرض صراحة، ويلمّح للقارئ عما يعانيه أبناء الريف المصري من داء البلهارسيا والذي يسبب فيروس ـ C ـ.

كما نلحظ معاناة أبناء الريف ـ أيضاـ من الجفاف وهو المرض الذي أصاب بنت أخته.

ويبرز لنا الكاتب في نهاية القصة أثر هذا المرض على صاحبه.

"وفيروس ـCـ ذئاب تسبح في دمي تنهش بأنيابها المدببة كبدي المتليف فيشهق صدري ويعلو زفيري وتخرج روحي كطلقة حمراء في المدى السرمدي"[3]

هكذا رسم لنا الكاتب أثر المرض على صاحبه بنهاية مأساوية ولعل فيه تلميح إلى تقصير الحكومات في معالجة الأمراض.

---

(١) ضمن مجموعة لحظة سقوط الجسد ٣٥ :٤٠.

(٢) السابق ٣٦.

(٣) السابق نفس الصفحة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وفي نفس القصة يشير الكاتب إلى مرض والده في بصره "أخبرني الطبيب بأن حالة أبي متأخرة، وأن الجلكوما ستطفئ النور من عينيه تماما، فجدت بالدمع وابتل جلبابي المشهري وسمع أبي شهقاتي وعيناه تخوضان في الظلام السرمدي فبكى بصوت مرتفع "[1].

وفي رواية(سر)[2] يتحدث الكاتب عن صورة أخرى للأمراض وهي الكساح وكثيرا ما يعتري هذا الكساح أبناء الريف بسبب سوء العلاج، والتخلف.

" قلن له النسوة:

خلعيه الثوب، وادعكيه بالزيت والخل وحبات القرنفل، لفيه في تراب الفرن.

يتقلب جسدك الطري بين يديها ثقيلا كالهم، تتمناك رجلا يحمل الفأس ويجلب الخبز.....

الخل ينهش في جسدك وتراب الفرن يجعلك رماديا، لا شيء يتحرك فيه سوى عينين تطوفان في المجهول "[3] ثم يتوجه الكاتب، وكعادته يقتحم السرد، ويمنح نفسه كل الحق في الحديث فيقول:

" أيها الكسيح.. ما أفادتك التعاويذ ولا الخرز الملون، وأكباد الجراء ومخاطاة الحمير البكر والتكحل بدم الهداهد تطوف بك على البيوت: يا قوم.. ألا من طبيب يداوي "[4].

---

(١) السابق نفس الصفحة.

(٢) مخطوط بحوزة الباحث.

(٣) السابق ٢٠.

(٤) السابق نفس الصفحة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وكأن بالكاتب يلفت من خلال هذه الأمراض أنظار المسئولين إلى تدهور مستوى الخدمات الصحية بالريف، وإلى الأوضاع الظالمة التي يعيشها أبناء الريف، والصورة الأخيرة كما نرى حافلة بمظاهر الجهل، والتخلف التي تنأى من وطأته القرية المصرية.

ومن الموضوعات ذات الصلة بالأمراض العضوية قضية نقل الأعضاء، وانتشارها بين الفئات، والطبقات المتعددة، وخصوصا بين الطبقات الثرية، والفقيرة، ولأن الكاتب ابن من أبناء مجتمعه، وأديبه صورة صادقة لما يحدث في المجتمع من قضايا تناول(محمد عبد الحكم حسن)هذه القضية في قصة(أوراق الذرة يابسة)[1].

"وعندما رأيتهم يفحصون أعضائي، ينزعون كليتي يزرعونها في جسد رجل خليجي قصير، ويلبسونني دشداشته الفارغة إلا من كيس عصير انتهى مدة صلاحيته"[2]

ثم يبرز لنا الكاتب صورة إيجابية للبطل قلما نجدها في قصصه وهي رفضه أن يلبس دشداشة الخليجي فيقول:"ومشرف الزراعة وخليجي رفضت أن ألبس دشداشته"[3]

هكذا تلعب الأمراض الاجتماعية دورا في انتشار وتفشي الأمراض العضوية. فالفقر، والجهل من ناحية، والتحلل، والعادات، والتقاليد الخاطئة لها دور بارز في تفشي الأمراض وبخاصة في الريف.

---

(١) ضمن مجموعة (لحظة سقوط الجسد) ٦٠: ٧٦.

(٢) السابق ٧٤.

(٣) السابق ٧٥.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٢ـــ الفلاح والأرض والقرية:

تلعب المكونات الثقافية، والفكرية، والنفسية، والاجتماعية للكاتب القصصي دورا مهما في تشكيل رؤيته فقضية الفلاح، والأرض تناولها كاتبنا فجعل من القرية مسرحا لمعاناة أبنائها.

ففي قصة(ثمن العودة)[١] يبرز لنا الكاتب مدى معاناة أهل القرية فعندما رفضته جميع المجلات، ودور النشر في المدينة، وتوجه بالنداء إلى أهل المدينة الفاضلة، وأعطى جزءا من أحزانه إلى أهل المدينة سمع في اليوم التالي في المذياع "موت جميع سكان المدينة وقد أكدت جميع المصادر الموثوق فيها أن سبب الموت اكتئاب نفسي"[٢]

فهذه الفكرة الرمزية أبرزت وبإيجاز شديد مدى مأساة، ومعاناة أهل القرية.

كما يرسم لنا الكاتب نموذجا آخر لما يعانيه أبناء الريف من الطلبة الذين ضاقت بهم الأرض فخرجوا إلى المدينة يحملون الطوب، والأسمنت للحصول على لقمة العيش ويا ليتهم يسلمون من السب والشتم ففي رواية (التفاتة النمر)[٣] يقول:

"القينا الطوب وارتمينا على ظهورنا متعبين. رأينا المقاول يلعن أمهاتنا نحن معدومو الصحة ذو الأجساد الطرية"[٤].

---

(١) ضمن مجموعة (لحظة سقوط الجسد) ١٤، ١٥.

(٢) السابق ١٤، ١٥.

(٣) مخطوط بحوزة الباحث.

(٤) السابق ٢٠.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وفي قصة(أوراق ذرة يابسة) [1] ترى الكاتب مبرزا تعلق الفلاح بالأرض فالأم عند مماتها طلبت من ابنها أن يدفن معها حفنة تراب من الأرض."ومن بين أذرعه خرج صوتها ضعيفا كصوت أبي حين داهمته الظلال في الحظيرة، وراحت تهمس في جسده مرتعش يا ابني، يا ضناي، حفنة تراب من أرضنا اجعلها في قبري تشفع لي ولأبيك، حفنة ــ ويرتفع لهاثها ــ من هذه الأرض التي كانت ميتا فأحييناها، ونزعنا ما فيها من شوك ونجيل، وأعشاب شيطانية، جعلنا من سطحها المنقوش وجها خصبا لديا يتحدى أرض الجيران و٠٠٠،٠٠ وماتت."[2]

هذه الأرض التي تتحدث عنها الأم هي الأرض التي نزعت منها بسبب إلغاء قانون الضريبة فيشير الكاتب في قصته إلى الآثار الجانبية التي لحقت بالمجتمع إزاء إلغاء قانون الضريبة وعودة مجتمع النصف بالمائة "وعلى بساط الأنس جاء مالك الأرض من سفره البعيد، وهال بسيارته تراب الجسر على وجوه الناس، ورقص وباقي الملاك فوق الحقول، وشواشي النخيل صرخت أمي وضاعت صرختها بين أبواق السيارات العالية، والأعيرة النارية، ومالك الأرض استلمها من أمي وذبح على حدودها خروفا ولطخ بدمائه وجه أمي الباكي "[3].

---

(١) ضمن مجموعة (لحظة سقوط الجسد) ٦٠: ٧٧.

(٢) السابق ٧١.

(٣) السابق ٧٠.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

رسم لنا الكاتب في المشهد السابق صورة مأساوية لمعاناة الفلاح بسبب إلغاء قانون الضريبة، ومن ثم عايش الكاتب آلام، ومشكلات الفلاح، وكيف نزعت الأرض منه، ثم يبرز لنا الكاتب في هذه القصة مدى حرص الفلاح على أرضه، ورغبته في تنفيذ وصية أمه، وما يلقاه من معاناة في سبيل تنفيذ هذه الوصية.

"حفنة من تراب، فقط حفنة واحدة أوصتني بها أمي، أنا الذي خط شاربي تحت أنفي وأشتد عودي.

همست للمشيعين:

ـ لا تدفنوا أمي، لحظات سأحضر حفنة من تراب أرضنا، ارتفعت ضحكات المارد بين أشجار السنط المتشابكة، همس المشيعون لبعضهم:

ـ أين أرضه التي يتحدث عنها ؟

وكأنني لم أسمع شيئا، أسرعت أتخطى القناوات كالبهلوان متجها إلى تلك البقعة من الأرض، هناك في حدودها كان المالك، والمارد يتعانقان يحملقان في بعيون نارية، صوت المالك ينطلق شارخا حدود الزمان، والمكان

ـ قف مكانك، إياك أن تتقدم خطوة.

انكمشت تحت الصفصافة التي زرعها أبي، رحت استجديه بشتى المشاعر.

ـ حفنة من تراب، أرجوك، أرجوك، وصية أمي، أمي التي... "[1]

---

(١) السابق ٧٢.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ثم يتحدث الكاتب عن صورة تجريف الأرض، وحرمانها من بكارتها هكذا تقتلع الزروع ويحل محلها العمارات الشاهقة فيقول:

"رأيته والمارد يتقدمان صوبي، يفتحون أفواها لها ظلال مخيفة، ومن خلفهم تعبئ السيارات تراب أرضنا، محملا بعرق أبي وآثار أقدامنا وحكاياتنا ولعبنا الطفولي، وهناك حيث محارق الطوب يفرغونه، فم المارد والمالك يقتربان، يلتهماني"[1]

وهكذا يرسم لنا الكاتب صورة حية نابضة لتعلق الفلاح بأرضه فبين أحضانها عاش طفولته وحياته ويعيش آماله، وآلامه، أما هؤلاء الملاك فلا علاقة لهم بهذه الأرض سوى المنفعة.

كما يبرز لنا الكاتب صورة أخرى لتعلق الفلاح بأرضه في قصة (فرس النمل) [2]، وإن كانت هذه الصورة تبرز الظلم، وتقطع الأرحام بين أبناء الريف فهؤلاء الإخوة الذكور يحرمون أختهم من الميراث.

"وعندما يأتي أخوالي.يتشاجرون مع أمي. يشتمونها ويزيحون أبي المرتعش فيقع على ظهره، يتكور ويبكي. تصيح أمي من خلال دموعها:

ـ الأرض أرضي وملاقيش آكل يا ناس

ـ هو إحنا معوزينك حاجة "[3].

---

(١) السابق نفس الصفحة.

(٢) ضمن مجموعة المجانين على أبواب المدينة مخطوط بحوزة الباحث.

(٣) السابق ٢.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فالدافع هنا هو الظلم والطمع في الميراث الذي تركه والدهم، والرغبة في الاستئثار به، ومثل هذا المشهد من الجشع والطمع متكرر في القرية المصرية، وبخاصة في الصعيد – على الرغم – أن القرآن الكريم، والشريعة الإسلامية أبرزت بوضوح نصيب كل فرد من أفراد الورثة في التركة.

وفي رواية(بستان أبي الهوى)يبرز لنا الكاتب صورة أخرى للظلم بسبب التعلق بالأرض فكبير الطوابين يعارض زواج ابنتهم (بدور) من أبي الهوى بسبب طمعه في الأرض، ولا يتم الزواج إلا بعد أن يطمئن أن الأرض ستظل تحت سيطرته.

" – الأرض يا عمي ؟

– ادي إحنا بنزرعها، ولا عاوزة الغريب ياخدها كمان ؟

– يعني أروح فين يا حاج ؟

– في الحجرتين اللي ع الهيش. "(١)

وتحاول الفتاة أن تستعطف كبير الطوابين، ولكن لا حياة لمن تنادي.

" – الهيش ياحاج. مفيش خاطر لعضم التربة.

– مفيش غير كدة يا نجيب خبره. "(٢)

صورة صادقة رسمها الكاتب لحال الفلاح في القرية، ومدى تعلقه بالأرض، ولكنّها صورة اختلط بها الظلم والجشع، فالكاتب هنا لا يتعاطف مع الفلاح،

---

(١) رواية بستان أبي الهوى ٣٨ ، ٣٩.

(٢) السابق ٣٩.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ويرى أن مشكلته خاصة نابعة من عادات وتقاليد خاطئة مخالفة للقيم، والأخلاق، والدين.

٣ـ المرأة:

لقد استأثر موضوع المرأة باهتمام العديد من كتاب القصة، ومنهم (محمد عبد الحكم حسن)؛ وذلك لأهمية الموضوع وخطورته، ولقد عالج الكاتب هذا الموضوع من زوايا مختلفة، وعبر محطات متعددة.

لقد حظيت المرأة المصرية باهتمام الكاتب فشغلت حيزا بارزا في نتاجه الأدبي، وذلك لأنها الوتر الحساس الذي يتأثر بحركة المجتمع، ويؤثر فيه.

وكان (محمد عبد الحكم حسن) على وعي بمدى ارتباط المرأة بمجتمعها، وإذا كانت علاقة الرجل بالمرأة على الصعيد الواقعي للمجتمعات "هي عنوان كبير لإشكاليات التقدم، والتخلف، والتطور، والارتقاء "[1] كان لزاما علينا أن نستعرض المرأة كما صورها (محمد عبد الحكم حسن) في قصته.

أ ـ المرأة القروية الكادحة:

يقدم الكاتب(محمد عبد الحكم حسن) في قصة (الظلام وحده لا يحجب الرؤية)[2] صورة للأم الكادحة تلك المرأة الطيبة الصلبة، التي يعبّر الكاتب من خلالها عن حقيقة المرأة القروية الكادحة، فتعمل وتكد بجد في سبيل أسرتها وهي تخرج للعمل من الصباح وحتى المساء لتحصل على لقمة العيش، تخرج

---

(١) أزمة الحس في القصة العربية لغالي شكري (دكتور) المقدمة ط الأولى دار الشروق القاهرة بدون تاريخ.

(٢) ضمن مجموعة لحظة سقوط الجمد ٥: ٩.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وفي إحدى يديها ابنها "وفي يدها الأخرى ممسكة بالبقجة التي جهزتها في المساء وبها الحرير المغربي وأقمشة أخرى لم أعرف صنفها.

ـ إحنا فين يا أمي ؟

ـ امشي بس. " (١)

لا يخبرنا الكاتب باسم الأم، ولا اسم القرية لأنها أم أي أم، وقرية أي قرية.

" على مشارف قرية لم تخبرني أمي باسمها، ناس ينظرون واقفين في وجه أمي أراها تنظر إليهم وتسدل جفنيها مع ابتسامة خفيفة. وعندما يمضون بعيدا دون أن يسألونها تمصص شفتيها وتنادي.

هدووووم العرايس

تنزوي بجوار منزل، تنزل البقجة وتجلس أمامه، تخرج علينا سيدة تصافح أمي، وتطبطب عليّ، نسوة ينزلن الجرار، يقلعن ثم لا يشترون، واحدة تفاصل مع أمي... "(٢).

هكذا يرسم لنا الكاتب صورة لعمل المرأة القروية الكادحة، ثم يبرز لنا ما تعانيه من فقر، وجوع هي، وابنها.

" ـ أنا جوعان يا أمي

ـ حاضر لما نروح.

---

(١) السابق ٦.

(٢) السابق نفس الصفحة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بكيت، دخلت المرأة المنزل وبعد قليل خرجت ومعها رغيف وقطعة جبن.

تكبش أمي ــ أنت دايما فاضحني

واحدة تهدئ من غضب أمي ــ دا عيل

تبتسم أمي بخجل وهي تنظر محدقة في الطعام

ــ هات حتة وأنت دايما طمّاع

يضحكن النسوة ".

ثم يبرز لنا الكاتب من خلال حكي الأم للنسوة السبب في عملها.

"وتعود تحكي لهن عن أبي الذي مات وعن الرجال الذين تقدموا إليها، ورفضهم، واعتكفت على تربيتي... " (١)

استطاع الكاتب هنا أن يعبّر عن وجهات نظر فلسفية، واجتماعية تعطي صورة مأساوية عن واقعنا حيث تتناول القصة امرأة فقدت زوجها، فكان لزاما عليها أن تتحمل المسئولية فخرجت بصحبة ولدها الصغير بدافع العمل فمع العوز الاجتماعي، تواجه المرأة لونا آخر من ألوان المأساة في القرية وهو فقد الأمان والاعتداء عليها بهدف السرقة، والاغتصاب فيختم الكاتب قصته.

" ـــ يا أمي أنا خايف

ـــ لا تخاف امشي

ازداد خوفي عند سماع خشخشة أعواد الذرة، الخشخشة تزداد، تقترب، صوت

---

(١) السابق ٨.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يستوقفنا، صوتان، ثلاثة، يجرون أمي المتحشرج وهي تستغيث، ينخفض، يندثر أمي أمي ي ي ي ي ي ي.

حملقت في التراب فلم أجد آثارا لقدميها "(١).

عبّرت القصة عن مستويات من الخلل الاجتماعي فأبرز الكاتب حالة الفقر، وعدم الأمان التي تعانيه المرأة القروية العاملة، ونلمس في كلامها، و أفعالها، ومواقفها تجليات الوعي الاجتماعي البسيط لقد جسدت الأم في مواقفها، وأقوالها، وأفعالها، إرادة الحياة، وروح التحدي، والصمود، ولكن سرعان ما تسقط هذه الأم أمام واقع الحياة، وفقد الأمان.

هكذا قدّم (محمد عبد الحكم حسن) صورة واقعية نابضة بالحياة للمرأة القروية الكادحة من خلال تصويره لهذه الأم القروية.

وفي رواية (بستان أبي الهوى) يرسم لنا الكاتب صورة الفتاة القروية العاملة (بدور) التي تحرص على شرفها، وتحافظ على أرضها، وعرضها.

"بنت عمهم رجلها برقبة ألف رجل حين حافظت على أرضها وعرضها ووصية أبيها الذي مات كمدا من أفعالهم؟ من قال ان سعيد الطواب حام حول بنت عمه وطلب الود والوصال ولمّا لمس صدرها صرخت ودوبت الشبشب على فمه وسط دهشة الطوابين ؟ "(٢)

(بدور) بنت الطوابين التي تدافع عن حبها العفيف، وترغب في الزواج ممن

---

(١) السابق ٩.

(٢) رواية بستان أبي الهوى ٤١.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تحب بحوار هادئ مع كبير الطوابين.

"ـ مين ده يا بنت ؟

ـ مين إية ؟

ـ هتعملي نفسك مش فاهمة، الراجل بتاع البطاطا..

ـ طالبني في الحلال.

ـ وأولاد عمك مش عاجبينك ؟

ـ القلب وما يريد. " [1]

وفي النهاية تزوجت (بدور) ممن أحبت.

" وأرسل للمأذون، وخرست الألسنة الصامتة عن الزغاريد.. "[2].

وفي قصة (خطوطك لا يقرؤها أحد سواك)[3] يرسم الكاتب صورة أخرى للفتاة القروية التي ضعفت أمام حبائل الشيطان، فسقطت في خطيئة الزنا لتلقى جزاءها.

" ذلك السكين الذي يطعن الآن في خدر لذيذ جسدي الطري، فأهوى وأنطوى على الخطوط، أخاديد متشابكة يتدفق فيها دمي الساخن.. يملؤها.. تلك الخطوط السميكة المتشابكة والتي لا يقرؤها أحد سواك."[4]

---

(١) السابق ٣٦ ، ٣٧.

(٢) السابق ٤٤.

(٣) الفائزون مسابقة نجلاء محمود محرم الدورة الثانية ٢٠٠٢ م ٢٩ : ٣٥.

(٤) السابق ٣٥.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

هكذا رسم لنا الكاتب صورا متعددة للمرأة القروية، وكان بارعا في أسلوبه، وطريقته التربوية فعندما دافعت الفتاة القروية عن شرفها وحريتها نالت ما أرادته، ولما سقطت في غواية الشيطان، وغلبتها شهوتها لاقت جزاء خطيئتها.

٢ــ المرأة المدنية العاملة:

ويطالعنا الكاتب في روايته (التفاتة النمر)[١] بنموذج للمرأة العاملة غير المتعلمة متمثلا في (وهيبة) التي اضطرتها الظروف الصعبة بعد موت والدها للعمل لإعالة أسرتها الكبيرة فيقول:

" ــ احترس من وهيبة.

كانت تنحني كجمل وتلملم الخشب المتساقط، وأنا من بين التزاحم والحركة أتأمل وجهها عن قرب هنا في بحبوحة الشمس، تبدو بلا ملامح كحفرية باهتة، لا شيء فيها من الأنثى سوى ثوبها الباهت المشجر ومؤخرة مكتنزة وشعر مجعد ينفلت من الحرام المحبوك وساقين قويتين وكتفي مصارع "[٢]

ثم يبرز لنا الكاتب صورة حية لمعاناة (وهيبة) "وتحكي لي عن إخوتها الذين تقوم على تربيتهم وأمها الكسيحة والحجرة الرطبة التي تسكنها هناك في عرب الوالدة حيث تقوم من الفجرية تنظف أمها وتطعم إخوتها وتعدهم للمدارس.."[٣]

---

(١) مخطوط بحوزة الباحث.

(٢) السابق ١٠.

(٣) السابق ١٤.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ويبرز لنا الكاتب أسباب معاناتها فتقول:

" أبويا يا ندر عيني مات صغير كان عنده الكبد بعيد عنك كان شغال زينا كده باليومية وأمي حزنت عليه لما بركت وانكسحت، وقال إيه عاوزني اطلع إخوتي من المدارس واشغلهم خدامين "(١)

ثم يرسم لنا طموحات هذه الفتاة العاملة، ورغبتها في الارتقاء الاجتماعي لإخوتها ويبدو ذلك جليا حين تقول:

" طب هم اللي ساكنين في العمارات دي أحسن منا في إيه. يعلم الله يا بيه أنا بشتري لإخواتي الفاكهة بشاير علشان ما يراعوش لحد ويمين بالله يمين رجالة ما دمت أنا على وش الدنيا لأخليهم أسياد الناس "(٢)

وتعرض الرواية ــ أيضا ــ جانبا من الخلل الاجتماعي والتحلل الأخلاقي، والانحراف السلوكي والذي تتعرض له الفتاة العاملة في المدينة.

" وحكيت لي عن الرجل ابن المنجوس الذي راودك عن نفسك فدوبت الشبشب على فمه وغرست أصابعك كاملة ولكن هذه المرة أسفل ظهره وفرجت عليه الخلق فحط كل واحد لسانه في فمه وعاملوك بخوف واحترام.

---

(١) السابق نفس الصفحة.

(٢) السابق نفس الصفحة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ـ البهيم قال عاوز ينام معايا طب يا بيه أنا وش الحاجات دي ؟ "[1]

وهنا تبرز مهارة الكاتب وقدرته الإبداعية الدرامية حيث تمكن من رسم صورة قاسية لمعاناة هذه الفتاة، وأن العنف والعوز الاجتماعي، ثم محاولة اغتصابها مكمن هذه المعاناة، ثم كانت النهاية المأساوية لهذه الفتاة.

" شد حيلك يا ولا..

لماذا لم تحاذري الانزلاق.

كان سقوطك قويا، وآهتك ممطوطة كالدب وأنت تتسلخين من شعاب أرواحنا، هناك في قاع الكون كان جسدك طريحا على أرض الهم، فوقك قصعة المونة تعلو كقبة ويدك الميتة مفرودة أمام عيوننا الباصة تدفعنا إلى الأعالي."[2]

هكذا كانت نهاية (وهيبة) نهاية مأسوية افتقدت التعليل المنطقي لها فلم يكن هناك ما يبرز هذه النهاية غير مجرد الإفراط في المأساة، فنلحظ أن الكاتب لم يترك الخيط الفني ينساب في طبيعته فهو اقتحم بنية الشخصية، ليفرض نهاية تراجيدية للبطلة.

وهكذا تمكّن (محمد عبد الحكم حسن) أن يعرض لنا عددا من القضايا الموضوعية في قصصه الفني مصورا من خلالها واقعا عايشه، فتعرّض لهموم المجتمع وبخاصة في الريف، فتناول الفقر والتهميش الاجتماعي،كما تناول بعضا من الأمراض الاجتماعية والعضوية، وتحدّث عن الفلاح ومعاناته ومدى

---

(١) السابق ١٥.

(٢) السابق ١٦.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تعلّقه بأرضه، كما رسم لنا صورة للمرأة سواء في القرية أم المدينة، وامتاز عرضه بالتلقائية والعفوية، وكان الكاتب راصدا أكثر منه ناقدا مقوما، كما لعبت المكونات الثقافية، والفكرية، والنفسية، والاجتماعية للكاتب دورا مهما في تشكيل رؤيته، وموقفه، فكانت نظرته إلى المجتمع ــ وبخاصة الريفي ــ نظرة المتشائم، ورأى مجتمعه القروي مجتمعا سلبيا ــ في الغالب ــ فقلما نجد من يقوّم هذا المجتمع، أو يزيل عنه غبار الفساد والانحطاط.

ويعاب على الكاتب في تناوله للقضايا الموضوعية في قصصه الحفاوة بالتفاصيل الزائدة عن حاجة القص فنراه يعتني بالتقاط دقائق، وجزئيات لا تخدم هدفا فنيا واضحا في العمل الفني وأمثلة ذلك كثيرة جدا فلا يكاد يخلو قصصه من هذا المأخذ.

كما يؤخذ على الكاتب افتقاده للتعليل المنطقي ــ كثيرا ــ للأحداث فعلى سبيل المثال لا نجد مبررا معقولا للتشاجر، والصراع بين العائلتين في قصّة(طفل النهار).

كما يؤخذ عليه المصادفات المفتعلة، وتكررت وكان ذلك على حساب العمل الفني كما في رواية (بستان أبي الهوى).

كما يكثر الكاتب من التدخل التقريري المباشر فلا تكاد تخلو قصة ولا رواية من هذا التدخل بصورة تقريرية سافرة بحيث يشعر القارئ أنه يتعامل مع المؤلف لا مع الشخصيات التي تتحرك في جنبات العمل الفني وتؤدي أدوارها أمامه.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ناهيك عن الصورة السوداوية والحياة المأساوية التي يعيشها أبناء الريف، والتي لا سبيل للفكاك منها.

كما يمثل الاستطراد – وبخاصة في وقفاته الوصفية – مأخذا فنيا لأنه على الرغم من أن الاستطراد يدل على سعة إطلاع الكاتب، وعمق ثقافته إلا أنّه يعيق القارئ وقد حفلت جميع روايات الكاتب بهذا الاستطراد.

كذا نرى افتقاد رواياته للوحدة العضوية التي تربط بين أجزاء العمل الفني الواحد، وكأننا نقرأ قصصا متعددة لا رابط بينها.

ومثل هذه المآخذ لا تقل من قدر الكاتب فلقد وقع فيها عمالقة الكتابة القصصية كالشرقاوي، وثروت أباظة، وغيرهما كثير.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ثانيا: الخصائص الفنية في قصص (محمد عبد الحكم حسن):

١ - الشخصيات في قصصه:

يعتمد أي كاتب في قصصه على مجموعة من الشخوص، وتتفاوت من حيث القلة والكثرة تبعا لأهمية الأحداث المرتبطة بهم، وتعرّف الشخصية بأنّها " أحد الأفراد الخياليين أو الواقعيين الذين تدور حولهم أحداث القصة "[١] والكاتب الماهر هو الذي يرسم كل شخصية بسماتها وصفاتها في صورة حية يعيش معها المتلقي، وكأنه يراها.

ولا نعد أنفسنا مجانبين للصواب إذا قلنا: إنّ الشخصية بين عناصر العمل القصصي الأخرى، تقوم مقام الرأس لبقية الأعضاء " فهي البؤرة التي تجتمع حولها جميع عناصر العمل الروائي، وقد يختفي الحدث ويسحب الزمان ويختفي المكان في عمل ما ومع ذلك يسمى هذا العمل رواية بغض النظر عن قيمتها الفنية، ولكننا لا نستطيع أن نبني رواية خالية من الشخصية "[٢]

وإذا كان بعض النقاد، والباحثين في العصر الحديث يرون أنّ الشخصية لم يعد لها تلك المكانة التي كانت تتبوأها في القصة التقليدية، فهذا ليس معناه أنّها عنصر يمكن الاستغناء عنه.

---

(١) معجم مصطلحات الأدب لجبور عبد النور ٦٥ ط الأولى دار العلم للملايين بيروت ١٩٧٩م.

(٢) بناء الشخصية في الرواية لمصطفى ساجد (دكتور) ١١ ط الأولى مركز عبادي صنعاء ٢٠٠٣هـ.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وتأتي أهمية الشخصية في العمل القصصي من قدرتها على كشف الواقع الذي يعيشه الكاتب ذلك أن " قدرة الشخصية على تقمص الأدوار المختلفة التي يحملها الراوي يجعلها في وضع مميز حقا، بحيث بواسطتها يمكن تعرية أي نقص، وإظهار أي عيب يعيشه أفراد المجتمع "(١)

ويجب الإشارة إلى أن تناول المبدع في قصه يختلف عن تناول المؤرخ " لأن المؤرخ يحكم عادة على أشخاصه من الخارج بمجموعة من الأحداث، في بيئة ذات عادات ونظم خاصة وتتوارى شخصياته وراء هذه العادات والتقاليد، فيفقدون بذلك عنصر المفاجأة والاستبطان، علىَ حين يعني الكاتب القصصي باستبطان وعي شخصياته، فكل شيء منهم قابل للشرح، وهو يسيرهم في منطق الأحداث النفسي والاجتماعي، تسييرا حيا مبررا وعلى هذا فالقصة أصدق في تصويرها للمعاني الإنسانية من التأريخ "(٢)

ويجب على الكاتب حين يرسم شخصياته أن يراعى بعدين الأول البعد الظاهري، والثاني البعد الباطني، أما البعد الظاهري فهو التركيز على إبراز التكوين الجسمي والصفات البارزة في الشخصية، وأما البعد الباطني فهو التركيز على إبراز التكوين النفسي، والسمات المميزة للشخصية.

---

(١) في نظرية الرواية " بحث في تقنيات السرد لعبد الملك مرتاض (دكتور) ٩٠ عالم المعرفة الكويت بدون تاريخ.

(٢) النقد الأدبي الحديث لمحمد غنيمي هلال (دكتور) ٥٦٤ دار النقافة بيروت لبنان بدون تاريخ.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وتنقسم الشخصية في العمل القصصي باعتبار فاعليتها في الحدث (دورها) إلى شخصية رئيسة، وأخرى ثانوية.

ولقد اختلف النقاد والدارسون في "الأسماء التي تطلق على الشخصية ذات الحضور المميز، أو ذات القدرة العالية على تحريك الأحداث، فمن النقاد من يراها رئيسة، وحين يراها الثاني أساسية، ويسميها ثالث محورية، ورابع يدعوها البطل، خامس، يراها مركزية "(١).

والشخصيات أحد أركان العمل القصصي، ومن خلالها قدّم لنا (محمد عبد الحكم حسن) فكره وصوّر الحياة حوله، والشخصية بتفاعلها مع المجتمع والقيم، والأفكار تسير نحو التحول.

ولقد كان للشخوص في قصص الكاتب دور بارز حيث إنّ الأشخاص في قصصه مدار للمعاني الإنسانية الحسنة، والسيئة في المجتمع، ومحور للأفكار والآراء.

والواقع أنّ (محمد عبد الحكم حسن) لا يسوق أفكاره، وقضاياه العامة منفصلة عن محيطها الحيوي بل ممثلة في الأشخاص الذين يعيشون في مجتمعه؛ لذا كان لقصّه أثر اجتماعي، وقيمة فنية، كما مثّلت الشخصيات في قصصه رموزا حية لأشخاص نصادفهم في حياتنا اليومية، فلا نجدهم دمى يصنعها الكاتب بخياله فتبتعد صلتهم عن المجتمع.

ويرسم الكاتب شخصياته بإبرازها من الداخل بعمق، واستفاضة فيطالعنا على أعماقها العنيفة المضطربة، وعلى أحلامها، يحدثنا عما تفكر فيه بصوت

---

(١) بناء الشخصية في الرواية ١٦٣.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

عال، وعما يشغلها عموما. كشخصية البطل الذي يبحث عن عمل، ويعاني من البطالة في قصة (حائط من زجاج باهت)[1] فالقصة من بدايتها إلى نهايتها تتحدث عما بداخل هذا الشاب، وما تحدثه به نفسه "همس في نفسه.يااااه أخيرا قبلتني المصلحة، وأخيرا بعد هذا الانتظار، سوف أسير في كل الشوارع أحدق في كل الوجوه، الجيران، الباعة."[2]

فمن الجملة الأولى في القصة، وبعد وصف رصيف المحطة، والراوي يبرز لنا انفعالاته الشخصية.

ثم يبرز لنا الراوي انفعالات هذه الشخصية، وما تعانيه من فقر، وتهميش اجتماعي من خلال كلامه مع حذائه " نظر إلى حذاءه المتآكل سأودعك يا صديقي قريبا، لقد رافقتني في المصالح الحكومية والاختبارات التي كنت أخرج منها مهزوما وسط عيون الناظرين إليّ في ترحم ".[3]

ثم يبرز لنا الراوي العقد النفسية المتراكمة لدى البطل الذي يعاني من علل نفسية، واجتماعية " تذكرهم، وهم ينظرون إليه يمصمصون شفاههم في حسرة عليه ابتسم وهو يواصل السير بنفس الخطوات البطيئة ".[4]

---

(١) ضمن مجموعة (لحظة سقوط الجسد) ٤٤: ٥٤.

(٢) السابق ٤٤.

(٣) السابق ٤٥.

(٤) السابق نفس الصفحة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

إنّ هذه الشخصية التي رسمها الكاتب، ورسم أبعادها النفسية شخصية سلبية تفتقد الجرأة التي تكسبها بلوغ ما تريد فهي شخصية مترددة وهذا ما بدا جليا عندما فقد اللحاق بالقطار، وصاح فيه صاحبه

" ـــــ اكسر الزجاج يا جبان.

حاصرته الكلمات، جردته من ملابسه، حولته إلى صرصار يسبح في المجاري يغوص في العفن، تشطفه سيارات الكسح.....".[1].

ومن ثم بدت هذه الشخصية شخصية مترددة تفقد كل شيء بسبب هذا التردد، ولا نراها إيجابية إلا بعد فوات الأوان " تقدّم مسرعا، رفع قدمه، ضرب بكل ما أوتي من قوة، كان القطار الطويل قد تعداه بمتر واحد، اصطكت قدمه الليلة بالفضاء الوسيع، هوى الجسد ليرتطم الظهر بالقطبان الساخنة...."[2].

هكذا رسم لنا الكاتب صورة هذه الشخصية السلبية المترددة المتحيرة مبرزا آلامها النفسية، والاجتماعية.

وإذا انتقلنا إلى رواية (بستان أبي الهوى) فترتبط شخصيات كل جيل بعدة ملامح يصوّرها الكاتب لرؤيته لواقع هذا الجيل وأهمها:

١ـــ صورة الجيل الأول الذي صوّر فيه (الطواب الكبير)، وكيف جمع الأموال والأراضي والدور فتبدو الصورة مجسدة لطبقة مكافحة.

---

(١) السابق ٥٣.

(٢) السابق ٥٤.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٢ـــ أما الجيل الثاني فيبرز الكاتب حكمة هذا الجيل عندما يقول: (ابن الطواب الكبير) كان يشير جهة هذا الهيش ويقول: إنّ الخطر يأتي من هناك، وإذا واجهك خطر فأرسله هناك "[١].

وتبدو لنا شخصيات الجيل الأول، والثاني شخصيات ثانوية سخرها الكاتب لخدمة الأبطال حيث اقتصر الكاتب على قص ما يخدم الحدث في حياته فقط، ولم يهتم بتفصيلات حياته، ودقائق سلوكياته.

أما النوع الثاني من الشخصية، وهي الشخصية النامية المتطورة.

وهي التي تتكشف جوانبها تدريجيا، وبنهاية القصة تكتمل صورتها فهي عماد الحدث القصصي، وتشارك في معظم المواقف القصصية، والمؤلف مطالب بأن يصوّره في جميع الحالات، وفي كل المواقف التي تجعلنا نعرفه فنيا بشكل متكامل.

ومن أمثلة تلك الشخصيات النامية عند (محمد عبد الحكم حسن) شخصية (أبي الهوى) في رواية (بستان أبي الهوى)، وكذلك شخصية (بدور) زوجته حيث جعلها الكاتب تنمو وتتطور، وتتفاعل مع الأحداث، حافلة بالعواطف المتقدة، والتعبيرات المفاجئة، وقد تبدو أحيانا مضطربة لأسباب نفسية، أو وراثية أو غيرها، ونسوق هنا حوارا بين بدور الشخصية النامية، وجدها الشخصية الثانوية، وهما يتحاوران في أمر زواج بدور.

" ـــ مين ده يا بنت ؟

---

(١) رواية بستان أبي الهوى ٣٤.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ـ مين إيه ؟

ـ هتعملي نفسك مش فاهمة، الراجل بتاع البطاطا.

كانت تستعد لمثل هذا السؤال منذ أن رأت ابن زكية العرجاء يبص عليهـا.. وأن الحاج يلمح الكلام حين يلف ويدور وتروغ العينان وتـضطرب الـشفاة، فتكون الغلبة له إذ إنّها لعبته، فأجابت من قلب متلهف:

ـ طلبني في الحلال.

ـ وولاد عمك مش عجبينك ؟

ـ القلب وما يريد.

القلب وما يريد

عبارة ليست جديدة عليه فقد سمعها من فوزية.. "[1].

هكذا نرى أنّ (بدور)الشخصية النامية في القصة كانت تتعامل مع الموقـف بحكمة، ورزانة بينما الحاج (كبير الطوابين) يتعامل مع الموقف بانفعال وتـأثر شديدين.

وبدت لنا شخصية بدور شخصية إيجابية تمتاز بقدرتها على المشاركة فـي الأحداث والتأثر فيمن حولها من الشخصيات.

ومن المعايب الفنية في رسم هذه الشخصية ـ على سـبيل المثـال ولـيس الحصر ـ يفقد الكاتب تملكه للخيط الدرامي في حيـاة الشخـصية، وينـشغل

---

(١) السابق ٣٦، ٣٧.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بتفصيلات يمكن الاستغناء عنها فالكاتب كثيرا ما يتوقف عن السرد الروائي لينتقل إلى الوقفة من خلال الوصف.

وكذلك من المعايب الفنية في رسم الشخصية التدخل في النهاية للشخصية، فنلحظ أنّ الكاتب لم يترك الخيط الفني ينساب في طبيعته فهو اقتحم بنية الشخصية ليفرض نهاية تراجيدية للبطل، فالإيقاع الروائي في نهايته يمثل الصدمة للقارئ كما في رواية (التفاتة النمر) فشخصية وهيبة الشخصية المحورية نموذج المرأة العاملة كانت نهايتها نهاية مأساوية افتقدت التعليل المنطقي، وكذا نرى النهاية المأسوية التي تفتقد التعليل المنطقي سوى الرغبة في إبراز صورة سوداوية للمجتمع في قصة (الظلام وحده لا يحجب الرؤية) فالنهاية كانت باغتصاب وسرقة (البطلة) المرأة الكادحة "حملقت في التراب فلم أجد آثارا لقدميها "[1].

ومن المآخذ الفنية على (محمد عبد الحكم حسن) في بنائه لشخصية البطل (أبو الهوى) في روايته (بستان أبي الهوى) الدخول في تفريعات للحدث الرئيس بمشكلة جانبية تواجه الشخصية وهذا الحدث الفرعي يضعف الحدث الرئيس كعلاقة الآباء والأبناء في عائلة الطوابين أثناء رسمه لشخصية (أبي الهوى).

لذلك لم يخل رسم الشخصية لدى الكاتب ــ غالباــ من المنحنيات الجانبية التي تضعف تطورها، بمعنى تدخل الكاتب، ونحس بوجوده في رسم وجهة النظر للشخصية، فنغمة النبرة الوعظية التعليمية تطغى على تنويعه النغمه

---

(١) قصة الظلام وحده لا يحجب الرؤية ٩.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الأساسية للشخصية ومنها قصة (كبير السوالم).[1] "لعلهم الآن يتحسرون، بل يتمنون أن يكون ذلك الرجل الطيب القوي كبيرهم رغم أنّه طالما أغرقهم في دمائهم، أضحك عليهم الناس في الأفراح..."[2]

وعموما يغلب على النتاج القصصي للكاتب التركيز والاهتمام بالشخصية، حتى يمكن أن نطلق عليه روايات وقصص شخصيات، ومن ثم تركيز (محمد عبد الحكم حسن) على المعطيات الفنية للعنصر النفسي للشخصية المحورية.

ففي رواية (مجلس القمري) تتكثف صورة الوراثة لتشكيل نغمة إيقاعية للقهر الاجتماعي على الشخصية المحورية، وذلك من خلال تطور الشخصية في البنية الروائية، والاعتماد في بناء الصورة على التراث، والمعاصرة للتعبير عن هموم العصر.

وفي رواية (التفاتة النمر) يعكس الكاتب عجز الإنسان المادي، وبالتالي هزيمة الآباء اقتصاديا، واجتماعيا أمام الأبناء.

وفي رواية (بستان أبي الهوى) تتكرر نغمة العبث بالكيان الأسري، فتتشعب أجزاؤها، فلحظات الكبت، والسيطرة تتناقل من جيل إلى جيل، فنصل إلى حد المأساة.

وبعد:

---

(١) ضمن مجموعة (لحظة سقوط الجسد) ٧٧ : ٨٢.

(٢) السابق ٨٠.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فلعل توظيف الكاتب للوسائل الفنية الحديثة مثل الحلم، والمنولوج.. أسهم في تطوير بنية الشخصية في العمل القصصي لدى لكاتب، وسيأتي تفصيل ذلك في موضعه من البحث.

٢) الحدث القصصي:

الحدث في العمل القصصي يلعب دورا محوريا ومهما في الوحدة الشعورية عند المتلقين، ومن ثم يكتسب العمل القصصي قيمته الفنية.

وهو مجموعة من الوقائع الجزئية التي يربطها، ويؤلف بينها في نظام خاص، حتى تحقق الإطار القصصي، الذي يطلق عليه (الحبكة القصصية).

ويعرّف د/عز الدين إسماعيل الحدث القصصي فيقول:" هو مجموعة من الوقائع الجزئية مرتبطة، ومنظمة على نحو يمكننا أن نسمّيه الإطار، ففي كل قصة تحدث أشياء في نظام معين، وهذا هو النظام الذي يميز إطارا عن آخر "(١).

وتصوير الأحداث في العمل القصصي يجب أن تكون الحركة هي الشيء الرئيس فيه، والحركة: إما أن تكون حركة عضوية، وإما أن تكون حركة ذهنية.

ونمو الحدث في العمل القصصي يجب أن يكون منطقيا، ومسببا ومفهوما لا عشوائيا، ولا غير مقبول.

ويجب أن تكون هذه الأحداث مسرودة سردا فنيا بحيث تكوّن بناء متماسك الأجزاء يؤدي هدفا معينا، فالحبكة هي التي تقوم بعملية التنسيق بين الأحداث،

---

(١) الأدب وفنونه لعز الدين إسماعيل (دكتور) صـ ١٨٦ ط السابعة دار الفكر ١٩٧٨.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وهي الحافز والدافع عند القاص؛ لأنها تثير في الذهن السؤال عن الأسباب.* لذلك نجد أن أشد القصص تماسكا أي أشدها إحكاما من ناحية البناء، هي تلك التي تتحرك فيها الأحداث، أو الوقائع تبعا لقوى الإنسان؛ لأن هذه القوى هي التي تربط بين أجزائها، وتهبها في النهاية معنى موحدا أي وحدة الانطباع التي تحدث فيه"(١)

و(محمد عبد الحكم حسن) استمد أحداث قصصه من واقعه الاجتماعي الذي عاش فيه، ومن معاناة وهموم أبناء إقليمه، وقريته فأخذ يعبّر في قصّه عن آمال وآلام مجتمعه فكانت منهلا لأفكاره.

وقد تنازع الكاتب نوعان متباينان من الاهتمامات في أحداثه القصصية أحدهما ذاتي حيث يستلهم وجدانه، ويستبطن مشاعره وأفكاره، ويستغرق في تأملات وجودية متعالية على المشكلات المادية، وعن متطلبات الحياة اليومية المعتادة، بينما نجد الاهتمام الآخر اجتماعي يتواصل فيه مع أفراد مجتمعه، وينفتح على حياتهم بأوجاعها، وآلامها، ومشكلاتها الضرورية.

فتارة تؤرقه مشكلة خاصة، وتارة أخرى نراه كاتبا اجتماعيا تؤرقه مشكلات مجتمعه كالفقر، والبحث عن لقمة العيش.

و(محمد عبد الحكم حسن) كغيره من الكتّاب تتعدد طرق عرض القصة لديه "فقد يبدأ المؤلف قصته من أول أحداثها، فيصف نشأة أبطاله، وميلاد علاقتهم بعضهم ببعض ويتبع في ذلك منهجا زمنيا في عرض الأحداث، وقد تبدأ

---

(١) الأدب وفنونه لمحمد عناني (دكتور) ٩٦الطبعة الثانية الهيئة العامة المصرية للكتاب ١٩٩١م.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

القصة بنهايتها فتبدأ بوقوع الجريمة، لتمييز خيوطها والرجوع إلى كشف الغامض منها، وقد يبدأ المؤلف من فترة خاصة في حياة الشخصية الرئيسية، ثم يقف ليرجع إلى الوراء سنين كثيرة ؛ ليشرح بهذا الرجوع المنظر الذي قدمه أولا "[1].

ولقد نهج الكاتب هذا النهج فلم يلتزم نهجا واحدا بالنسبة لأحداث أعماله القصصية، فهناك أعمال قصصية يرتب فيها الحدث ترتيبا منطقيا، وهناك أعمال تبدأ بذروة الحدث، وأخرى يعمل فيها على تجزئة الحدث، وكلها تقنيات جارى فيها الكاتب تقنيات عصره الحديث.

فمن النمط الأول: الذي يعمل فيه الكاتب على ترتيب الحدث ترتيبا منطقيا قصة(ثمن العودة)[2] فبدأت القصة بوصف حالة البطل بعدما رفضته جميع المجلات، ودور النشر في المدينة، ثم تطور إلى الصعود على الكوبري، ومخاطبته للمدينة الفاضلة، وإعطائهم جزء من أحزانه، ثم بتسلسل الأحداث بتركيز شديد، وترتيب منطقي يعود إلى قريته، وبعدما يفتح المذياع يسمع " موت جميع سكان المدينة، وقد أكدت جميع المصادر الموثوق فيها أن سبب الموت اكتئاب نفسي"[3].

---

(١) النقد الحديث الأدبي لمحمد غنيمي هلال (دكتور) ٥٤٩ دار الثقافة بيروت لبنان بدون تاريخ.

(٢) ضمن مجموعة (لحظة سقوط الجسد) ١٤ ،١٥.

(٣) السابق ١٥.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فالقصة مثّلت كائنا حيا مكتمل العناصر مترابط الأجزاء في تسلسل منطقي للأحداث. ومن هذا النمط ــ أيضاــ (اعترافات للوجه الآخر)[١] فبدأت القصة بسيره في شارع (الحسيني)، واصطدامه بامرأة سوداء، ثم يتحدث عن هذه المرأة السوداء، وحملقة وجهها، وعن اصطدامه برجل آخر، ثم يطور الحدث بتركيز شديد، وترتيب منطقي، وبعض المصادفات الدرامية إلى أن انتهت بضرب البطل فيبدأها بقوله: "في شارع الحسيني لمحته على البعد يعافر، ينحشر داخل الكتلة البشرية، يصطدم بامرأة سوداء، تمصمص شفتيها وتواصل مضغ اللبان، عيناها تراقبني في صمت"[٢]، ثم يتحدث الكاتب بعد ذلك عن ضعف بطله أمام هذا الزحام فيقول: "صدمني رجل في كتفي، سقط الكتاب من يدي، نظر إلى بغيظ "[٣]، ثم يتحدث الكاتب بعد ذلك عن دخوله لمحل عصير، ويقابل الرجل الذي اصطدم به مرة أخرى وعندها " أسرع إلي فاتحا ذراعيه، اصطدم جسدي في جسده، هوينا معا وسمعت صوت الزجاج المتهشم "[٤]

وفي النهاية يتحدث الكاتب عن خروج رجال أقوياء ذوي أيدي غليظة يضربونهم " وبين عناق يدي ووجوههم الشاحبة، عيني وعيونهم، دقات قلبي وهمساتهم، هوت اليد الثقيلة على عنقي، أحسست بهم يدورون بي. يدوووورون.. .. واندثروا "[٥].

---

(١) ضمن مجموعة (لحظة سقوط الجسد) ٢٥ : ٢٩.

(٢) السابق ٢٥.

(٣) السابق ٢٦.

(٤) السابق ٢٨.

(٥) السابق ٢٩.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ومن النمط الثاني: الذي يبدأ فيه العمل القصصي بذروة الحدث رواية (مجلس القمري)[1] حيث يبدأ الكاتب بعودة القمري حزينا مكتئبا، ثم يأخذ الكاتب في عرض أسباب هذا الحزن معتمدا على التراث القومي، ومعاناة الشعب.

ومن هذا النمط ــ أيضا ــ رواية (بستان أبي الهوى) حينما خرج إلى السوق وباع حماره، ثم عرض لنا الكاتب أسباب بيعه لحماره ومعاناته في حياته، ثم كانت النهاية الطبيعية التي اعتادها الكاتب في قصصه وهي الموت "إنّها اللحظة الأخيرة التي يفارق فيها تكلما العينين والوجه البرئ تتسع نظرات الصغير وشهقات الأب وارتعاشة الأيدي.٠٠٠

فاحتضن الغريب الجسد الصغير، وغاب أبو الهوى بين شواشي الذرة وسواد الليل واحمرار الطلقات الطائشة والتي سرعان ما حددت مكانه "[2]

ومن النمط الثالث: وهو تجزئة الحدث، والغرض منه إبراز انفعالات وخواطر متعددة في وقت واحد قصة (لحظة سقوط الجسد)[3] حيث يبدأ الكاتب بصورة وهي:

" شجرة.٠٠,٠٠,٠٠

كيف ارتفعت في بيت الجيران فجأة لتغطي الحوش الوسيع وتلامس حائط المسجد القريب وتكسو الشارع الأملس ظلا منقوشا "[4]

---

(١) مخطوط بحوزة الباحث.

(٢) راجع : رواية بستان أبي الهوى ١٥٥.

(٣) ضمن مجموعة (لحظة سقوط الجسد) ٣٥ :٤٠.

(٤) السابق ٣٥.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ثم يتحدث الراوي " أخبرني الطبيب بأنّ حالة أبي متأخرة، وأن الجلكوما ستطفئ النور من عينيه تماما "[1] ثم ينتقل الكاتب إلى الحديث عن مرض البطل بفيروس – C – ثم يسرد قصة وفاة أمه في غربوبة سرمدية.

ثم يعود مرة أخرى إلى الحديث عن شجرة الجيران فيقول:: " في الليل – وعلى المصطبة القريبة – سمعتهم يتحدثون عن شجرة الجيران قالوا جازوين توت نبق "[2] ثم يتحدث بعد ذلك الكاتب عن مقهى أبي جلال وعن بائعات الجبن الذين يعبرون على كوبري المعاهدة، ثم ينتقل بعد ذلك انتقالا مفاجئا إلى الحديث عن فقره.

ثم يعود مرة أخرى إلى شجرة الجيران وقطعها فيقول:" وجارنا ذو الوجه الأحمر حمل شجرته مقطعة إلى اسطوانات متفاوتة على سيارة نقل وجلس بعد النقود.."[3].

ثم يختتم قصته بحديثه عن موت أمه، وعمى أبوه وفيروس – C – الذي أصابه "وفيروس –C– ذئاب تسبح في دمي تنهش بأنيابها المدببة كبدي المتلف فيشهق صدري ويعلو زفيري وتخرج روحي كطلقة في المدى السرمدي "[4].

---

(١) السابق ٣٦.

(٢) السابق ٣٧.

(٣) السابق ٤٠.

(٤) السابق نفس الصفحة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وهكذا تبدو تجزئة الحدث واضحة ولكن في الواقع هذه التجزئة، والتفكيك في الحدث عبّر من خلالها الكاتب عن الأزمات النفسية والاجتماعية والاقتصادية التي يعاني منها أبناء المجتمع ومن ثم كانت تجزئة الحدث، وتفكيكه غاية فنية، فهو تفكيك مقصود محسوب، يعكس مجتمعا قلقا مزدحما بالناس، وبالأحداث التي تؤدي إلى انفعالات متناقضة في اللحظة الواحدة.

وكذا تبدو قصة (أوراق ذرة يابسة)[1] فتقوم الأحداث على نمط التجزئة والتفكيك، فمن خلال مقدمة يصف فيها الكاتب أوراق الذرة والأشجار والزواج ينتقل الكاتب إلى الحديث عن حاضر البطل، ثم يقوم الكاتب بتجزئة الأحداث بين الماضي والحاضر بين ما هو محسوس، وبين ما هو متخيل، فيتحدث عن عمل الأثفار في تكسير الأعواد واللصوص وقطاع الطريق، ثم يتحدث عن موت أمه، ثم يتناول الكاتب الحديث عن بيع الأعضاء البشرية من خلال بيع أعضائه، ومزج الراوي في هذه القصة بين الفردية والجماعية، فربط بين ذاته ومجتمعه، وبين الحاضر والماضي؛ ليعبّر من خلال كل ذلك عن القهر السائد في المجتمع في كل زمان ومكان، ولولا هذه التجزئة للحدث ما استطاع الكاتب أن يعبّر عن كل هذه المعاني والأفكار، فالتفكيك المنهجي أسهم في إدراكنا كل هذه المعاني دفعة واحدة ومدى تعلق الفلاح بأرضه.

ومن هنا نتبين أن (محمد عبد الحكم حسن) امتلك كثيرا من الأدوات الفنية التي عبّر بها عن أحداث متنوعة، ومتناقضة لأزمان متداخلة، وشخصيات

---

(١) ضمن مجموعة (لحظة سقوط الجسد) ٦٠: ٧٦.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

متعددة رمزية، وحقيقية في وقت واحد مما أكسب قصصه الجودة، والحبكة الفنية المتميزة.

٣- اللغة (السرد، والحوار، والوصف):

ويراد باللغة عند القاص ذلك القالب اللفظي الذي يصوغ فيه أفكاره، ويجسد رؤيته، ويكثف إحساسه في صورة مادية، يشعر بها القارئ حوله، ومن خلاله تتضح البيئة، وتظهر الأحداث وفق تسلسلها المقدور حيثما أراده القاص.

وتبدو اللغة لدى (محمد عبد الحكم حسن) كأداة تعبير، وهي أكثر ميلا إلى التجريد، ولها قدرة استبطان اللحظات الشفافة، والعميقة التي تمر بها الشخصيات، فالجملة لديه ــ غالبا ــ قصيرة، تحمل معاني شعرية وشعورية متدفقة، لكنّها توحي بأنّها قائمة بذاتها أكثر مما تتصل بغيرها، وهي تؤجل باستمرار لحظة التماسك المطلوب، ومن ثم فاللغة لدى الكاتب تجمع بين الاتصال والانفصال معا، الاتصال تفرضه سياقات التتابع اللفظي، والانفصال تقتضيه طبيعة العلاقات بين الجمل، وهذا بدوره يؤدي إلى عالم فسيح، وواسع يكتنفه الكثير من الغموض، وبخاصة يزداد هذا الغموض بسبب الإيقاع السريع في قصّه، فعلى الرغم من إعطاء هذا الإيقاع موسيقى شعرية، ولكن هذا الإيقاع السريع يفلت من المؤلف في بعض الحالات.

ولقد وعى الكاتب بحسه الفني مفهوم اللغة الأدبية فجعلها مسايرة للغة مجتمعه إلى جانب التعبير عن ذاته فـ " فردية الأسلوب، أو العمل الأدبي

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بعامة ذاتي من أنه صادر عن فرد، وعموميته تأتي من أنه موجه إلى جماعة"[1].

وقد اعتنى الكاتب بانتقاء ألفاظه فلقد جاءت عذبة سلسة ملائمة للمعاني المسوقة فيها، وأعانه على الدقة في اختيار ألفاظه حصيلته اللغوية التي اكتسبها من بيئته الدينية التي عاش فيها.

فليس من قبيل المصادفة أن يعنون لأحد قصصه بـ(جمل الليل)[2] فقد اتخذت القصة من الليل موضوعا لها، فكم من الشعراء تغنوا بالليل، وما قاسوه فيه فهذا اختيار شعري تبدو فيه شاعرية اللغة، وانتقاء الألفاظ.

وكلمات (محمد عبد الحكم حسن) معبّرة، ونلمس ذلك واضحا عندما يقول: (جاء عمي أخيرا بعد أن قتلته الغربة) فيقدّم لنا الكاتب صورة عن شخصية أصبحت معروفة لنا من خلال الإيجاز اللغوي.

وفي الواقع أن أسلوب الكاتب في أكثر قصصه يخدم التجربة، ويعمق إحساس القارئ بها، وبخاصة حين يعبّر عن معان مجردة، والغموض الذي يحيط بلغته هو غموض يخدم الفكرة إلى جانب أنه مقصود لذاته في أحيان كثيرة.

ولغة الكاتب تقل فيها الخطابية والإفصاح، وتعتمد في أكثرها على الرمز، والتلميح، الإيحاء.

---

(١) الأدب وفنونه لعز الدين إسماعيل (دكتور) ٤٢ ط السابعة دار المعارف ١٩٨٧ م.

(٢) ضمن مجموعة (لحظة سقوط الجمد) ١٠: ١٣.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

و(محمد عبد الحكم حسن) يتمسك بالفصحى ــ غالباــ، ولا يرى موجبا للعدول عنها، ولم يسمح لنفسه باستخدام العامية إلا بالقدر الــذي يــستدعيه الموقــف القصصي.

وليس غريبا على الكاتب أن يتبنى الفصحى، ويحتفي بها، وهو الذي حفــظ القرآن منذ صغره وحفظ كثيرا من الأحاديث النبوية كما حفظ البردة، والشاطبية منذ صغره، وكان يتخير من الفصحى أقربها من السهولة، واليسر دون تقعر أو تعقيد.

وأحيانا يؤخذ علىَ الكاتب عدم مناسبة اللغة التي يستخدمها للمستوى الفكري والثقافي للشخصيات، وعلى هذا النحو فالكاتب يحمّل شخصياته أفكــاره هــو دونما تفرقة بين مستوى الشخصيات، ودون اختيار الألفاظ التــي تــدل علــى مستوى الشخصيات، ومنها الحوار الذي دار بين إبراهيم، وسيد، وبائع الحاجة الساقعة في قصة (حائط من زجاج باهت)[1].

" ــ أي عيب يا إبراهيم

ــ خلاص فتحتهم يا أستاذ

ــ أمش من هنا يا ولد لن نشتري يا أخي عجبا والله.

ــ قلنا لك مغلق، ألا تفهم، مغلق.

---

(١) ضمن مجموعة (لحظة سقوط الجسد) ٤٤ : ٥٤.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ـ عموما إياك والتأخر "[1].

هذا الحوار، وذلك النص، يدور بين شخصيات متفاوتة من حيث الثقافة، ويدور في إحدى محطات القطار، وهو يجسد كثيرا من السمات الفنية التي يتسم بها الكاتب من حيث الرتابة الأسلوبية على الرغم من اختلاف المتحاورين فكرا وثقافة، والتعلق بالأسلوب التقريري، وحرص المؤلف على أن يتحاور الشخوص بأسلوبه هو، والواقع أن الكاتب ـ غالبا ـ كان ينتقل بين العامي والفصيح في كتابة القصة الواحدة، وهذا يفسح المجال لصغرات، وفجوات فنية يشعر بها القارئ كأنّها مساقط الهواء التي يتعرض لها ركاب الطائرات في نواحي الجو، أو ركاب السيارات في الطرق غير المعدة، إذ يفقد العمل مظهر التناسق، والتوافق، والألفة في التعبير [2]

وتبدو العلاقة بين اللغة والأسلوب بديهية حيث إنّ الأسلوب"هو طريقة التعبير الفني"[3] فالعلاقة بين اللغة والأسلوب علاقة تكاملية فلا غنى لأحدهما عن الآخر، فالأديب يجب أن يكون صاحب صياغة لغوية جميلة فيؤلف بين ألفاظه وتراكيبه فيجعلها وسيلة من وسائل التعبير ذلك لأن الأسلوب هو " المذهب، والطريقة، والنظم "[4]

---

(١) راجع : السابق ٥٢.

(٢) أدب وأدباء لمحمود تيمور ٦٥ ط القاهرة ١٩٦٨ م.

(٣) المنهج الأسلوبي في النقد الأدبي في مصر لمديحة جابر السايح (دكتورة) ٦ ط الأولى الهيئة العامة لقصور الثقافة ٢٠٠٣ م.

(٤) في الأدب والنقد لمحمد مندور (دكتور) صـ ٦.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ويعتمد (محمد عبد الحكم حسن) في أسلوبه القصصي للتعبير عن الأحداث، والمواقف على طرق ثلاث:

أولا(السرد):

ويعد السرد وسيلة عظيمة في نسج وإعادة تكييف الأحداث سواء الواقعية منها، أم الخيالية، وتوزيعها في ثنايا النص.

فالسرد يقوم بنقل الأحداث، والمواقف من صورتها الواقعية، أو الخيالية إلى صورة لغوية يتمثلها المتلقي، وكأنّه يراها رأي العين.

فالسرد "مصطلح أدبي يقصد به الطريقة التي يصف، أو يصوّر بها الكاتب جزءا من الحدث، أو جانبا من جوانب الزمان، أو المكان اللذين يدور فيهما، أو ملمحا من الملامح الخارجية للشخصية، أو قد يتوغل إلى الأعماق فيصف عالمها الداخلي، أو ما يدور في ظواهر نفسية، أو حديث مع الذات "[1].

وللسرد القصصي عند (محمد عبد الحكم حسن) أنماط (طرق) متعددة.

الطريقة الأولى (السرد المباشر):

وفيه يروي المؤلف الأحداث دون تدّخل منه، وهذه الطريقة مألوفة لدى أكثر الكتّاب عن غيرها، وفيها يكون الكاتب مؤرخا يسرد من الخارج، ويقترب عمل القاص من كاتب السيرة التاريخية، وفيها يستعين باستخدام ضمير الغائب، ومن أبرز قصه في هذا النمط رواية (بستان أبي الهوى)

---

(١) دراسات في نقد الرواية لطه وادي (دكتور) صـ ٤٢ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٩ م.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

"وتتأمل زوجها أبو الهوى يبعثر الأشياء بيدين متعجلتين بلفض الأكياس والكراكيب ويفتشها عشرات المرات"[1].

وتمضي أحداث الرواية على هذا النحو من السرد حتى نهايتها، كما استعان بهذا اللون من السرد في قصة (ثمن العودة) [2]والتي استهلها بقوله::" ضمه القطار واحتوته المزارع وتفرقت نظراته على أرض الله الواسعة وهي تدور من حوله"[3].

كما استعان بهذه الطريقة في قصة (حائط من زجاج باهت)[4].

الطريقة الثانية (السرد الذاتي)

وفيها تروى الأحداث على لسان البطل، ويبدو المؤلف كأنّه هو البطل، فيكتب القصاص على لسانه، وكأنّه بذلك يقدّم ترجمة ذاتية، وفي هذه الطريقة " يكتب الكاتب قصته بضمير المتكلم، ويضع نفسه مكان البطل أو البطلة، ليثبت على لسان أحدهما، أو كليهما ترجمة ذاتية متخيلة "[5].

وأحداث هذا اللون من السرد قد تكون حقيقية وقعت للبطل، أو مزجت بين أحداث حقيقية وأخرى متخيلة، وتكون المتعة في هذه الطريقة أعظم وأقرب

---

(١) رواية بستان أبي الهوى ٨ ، ٩.

(٢) ضمن مجموعة لحظة سقوط الجسد ١٤ ، ١٥.

(٣) السابق ١٤.

(٤) ضمن مجموعة لحظة سقوط الجسد ٤٤ : ٥٤.

(٥) فن القصة القصيرة لرشاد رشدي (دكتور) صـ ١١٠ ط الخامسة المكتب المصري الحديث ١٩٨٢ م.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

إلى النفس من الطريقة الأولى؛ لما فيها من استبطان، و(محمد عبد الحكم حسن) يكثر من هذه الطريقة، ووظّفها في كثير من قصّه منها رواية (التفاتة النمر)[١] والتي استهلها بقوله:" عندما أشرت له بأصبع واحد:لم يندهش العيال الـواقفين يقسمون بعضهم فريقين، حيث انسلخ من بينهم مهرولا صوبي، فهـم يعلمـون مدى شراستي وعبثا حاول أحدهم أن يشتكي لأبـي، وإلا والله كنـت أوجعـه ضربا"[٢].

وتمضي أحداث الرواية على هذا النحو حتى نهايتها، واستعان الكاتـب بهـذه الطريقة ــ أيضاــ في قصة (طفل النهار)[٣] ويستهلها بقوله:

" الوقت كان ليلا وأنت تمرين على دمي.

يابسة..

أنا طفل النهار، أتسكع على مفارش الظل... "[٤]

واستعان بهذه الطريقة في قصة (الظلام وحده لا يحجب الرؤيـة)[٥]، (وجمـل الليل)[٦]، و(اعترافات الوجه الآخر)[٧]..وهذا اللون من السرد يكاد يطغـى

---

(١) مخطوط بحوزة الباحث.

(٢) السابق ١.

(٣) مخطوط بحوزة الباحث.

(٤) السابق ١.

(٥) ضمن مجموعة لحظة سقوط الجسد ٥ : ٩.

(٦) السابق ١٠ : ١٣.

(٧) السابق ٢٥ :٢٩.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

على قصص (محمد عبد الحكم حسن)؛ لأن الكاتب يبدو فيه روائيا ذاتيا يستبطن ذاته، ويقص ما يجري في دخيلة نفسه، والواقع أنه ــ على الرغم من ذلك ــ كان يربط هذا الاستبطان الذاتي، وبين الحوادث الخارجية.

وأما الطريقة الثالثة للسرد:

وهي الطريقة الوثائقية، والتي يعتمد فيها المؤلف على الخطابات، والمذكرات، ويتخذ منها أدوات لبناء قصة متصلة الأجزاء فلا نجدها في قصص (محمد عبد الحكم حسن).

واستعان الكاتب بالعديد من تقنيات السرد الحديثة منها: التلخيص، والوقفة، والثغرة، والمشهد.

أ ــ التلخيص (Sommaire) "يقوم التلخيص في الرواية التقليدية بدور خاص عرفها الروائيون منذ فيلدنخ الذي يعتبر مقنن لهذه التقنية"(١).

فالتلخيص هو المرور السريع على فترات زمنية لا يرى المؤلف أنها جديرة باهتمام القارئ فعندما ننظر إلى المعالجة النصية في رواية (مجلس القمري)(٢) نجد أنّ الرواية تعالج آلاف السنين من لدن أخناتون إلى يومنا هذا فى (٩٦) صفحة.

ب ــ الوقفة (Pause) حيث يتوقف سير الزمن تماما في مقاطع وصفية بحتة كما في رواية (بستان أبي الهوى) فيستهلها الكاتب بوصف المكان

---

(١) بناء الرواية لسيزا قاسم (دكتورة) ٨١ مهرجان القراءة للجميع ٢٠٠٤ م.

(٢) مخطوط بحوزة الباحث.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فيتحدث عن المناخ العام، والشارع، والأبنية، والمنازل، والحوانيت، والبحر، والكلاب، والخوف، والدهشة"هي المشاوير إذن، وفيض الحكاية في نسيم الصيف خوض الحمير لجج الظلام، وآثار الأقدام على تراب الجسور، ومروق الخفافيش، وانطلاقه المعبأ بالمواويل، وشوق بحضن بوسع المدى، ودفء صدر مكتنز وذكر بط عائم في بحر المرق وحصير نفضته اليدان. . ."[1].

ويواصل الكاتب في الصفحات التالية وصفه "تكبس الألحفة على نفسها كتلال رمل، وبراغيث الدنيا تلسع لحمها. وألسنة بنات العم تخرج من عمق الظلام وزحمة الأسواق وهزات الأفخاذ على الموارد،ولملمة الأوز، والعيال من الشوارع، ودخان الأفرن. ."[2]

ومن ثم يأخذ الكاتب على عاتقه أن يصف المنظر لإخبار القارئ، وتتعدد الوقفات في قصص (محمد عبد الحكم حسن).

ج ـــ الثغرة (Elipse): وتمثل المقاطع الزمنية في القص لا يعالجها الكاتب معالجة نصية وهناك نوعان من الثغرات:

النوع الأول: الثغرة المميزة المذكورة، وهي التي يشير إليها الكاتب في عبارات موجزة جدا.

وأما النوع الثاني: وهو الثغرة الضمنية، وهي التي يستطيع القارئ أن يستخلصها من النص.[3]

---

(١) رواية بستان أبي الهوى ٧.

(٢) السابق ٨ وما بعدها.

(٣) راجع : بناء الرواية لسيزا ٩٣.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ومن أمثلة الثغرة المذكورة، والتي يشير إليها الكاتب في عبارات موجزة جدا كما في رواية (سر)[1] " شهور تمر، عيناك ثابتتان تلوزان بالجدران حيث العناكب تنشر بيوتا واهية... "[2].

والنوع الثاني: وهو الثغرة الضمنية التي يستطيع القارئ أن يستخلصها من النص كما في قصة(خطوطك لا يقرؤها أحد سواك)[3] يقول:" أفك هذا الحزام الذي يربط على بطني، يكاد يخنقني، ويخنقه "[4]

فهنا يتحدث الكاتب عن حمل تلك الفتاة، وكيف مرت الشهور على حملها.

د ـــ المشهد (Scene):وتأتي أهمية تقنية المشهد من أنّ الأحداث الرئيسة، والمواقف الفاصلة في العمل الأدبي مبنية بهذا الأسلوب.

والمشهد حركة بطيئة الزمن مشحونة فنرى الشخصيات، وهي تتحرك، وتتكلم، وتتعدد المشاهد في قصص الكاتب فهي الأساس للعمل القصصي حيث يأتي مشابها للواقع إلى حد كبير لاحتوائه الصراع الدرامي.

٢ ـ الحوار:

من الوسائل التي استثمر فيها (محمد عبد الحكم حسن) قدرته الفائقة في اللغة والثقافة، فوظفها توظيفا بارعا في الأداء القصصي: الحوار.

---

(١) مخطوط بحوزة الباحث.

(٢) السابق ١٨.

(٣) الفائزون مسابقة نجلاء محمود محرم الدورة الثانية ٢٠٠٢ م ٢٩ : ٣٥

(٤) السابق ٣٤.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والحوار طريقة من طرق التواصل، فهو نقاش، وتبادل الحديث بين طرفين أو أكثر، يحاول كل من المتحاورين الوصول إلى أهدافه.

وعبر تكنيك الحوار تنهض العوامل التخيلية للنصوص فتتحرر نسبيا من هيمنة الكاتب، مما يجعل فضاء النصوص متحركا في الزمن، والذاكرة من خلال شخصيات القصة.

وراعى (محمد عبد الحكم حسن) - في الغالب- أثناء حواراته مناسبة اللغة لمستويات الشخصيات العلمية والاجتماعية.ومن ذلك حوار مشرف الزراعة مع المرأة الفلّاحة الكادحة، ففي قصة (أوراق ذررة يابسة) [1]" مشرف الزراعة القصير وقف أمامنا وحملقت من خلف

أمي في عقارب ساعته قال لأمي:

ـــــ ازرعي الأرض

ـــــ خضار يا بيه ؟

ـــــ لا.. .. .. شامي.

نكست أمي رأسها وتنهدت.

ـــــ حاضر يا بيه

وعندما غاب بساعته بعيدا صاحت:

ـــــ ياااااه شامي

---

(١) ضمن مجموعة (لحظة سقوط الجسد) ٦٠ : ٧٦.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فالتفت وراءه بعينين غاضبتين.

قالت أمي:

ـــ أمرك يا بيه. "[1]

وهكذا أبرز الكاتب من خلال حواره الموازنة بين رد فعل المرأة الفلاحة الكادحة، وبين أوامر مشرف الزراعة.

وتتعدد الحوارات في قصص الكاتب، ومنها الحوارات في رواية (بستان أبي الهوى)، وما فيها من مدلولات تعبّر عن حياة القسوة، والقهر، والظلم ضد المرأة في المجتمع القروي، فعندما تعرض (بدور) على عمها خطيبها (أبا الهوى)٠

" هو ده ؟

ـ أيوه يا عمي.

ـ طب غوري."[2]

فالحديث الذي يدور بين الشخصيات هدفه أن يقرّب الموقف من المتلقي، ويكسب المشهد حيوية خاصة.

ولقد كان الكاتب على وعي بدور الحوار في قصّه فوظفه توظيفا جيدا مما أكسب مشاهده حيوية فنية.

---

(١) السابق ٧٠.

(٢) رواية بستان أبي الهوى ٤٢.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ويمكننا القول: إنّ مدى نجاح الكاتب (محمد عبد الحكم حسن) يتمثل في قدرته على رسم الشخصيات من خلال بعث سماتها، وخصائصها المميزة من كلماتها المعبّرة، بنسيج يتمايز عن حوار الشخصيات الأخرى، وعن نسيج السرد في القصة بشكل عام.

ثالثا (الوصف):

والوصف قد يستخدمه الكاتب غير مرتبط بالأحداث والحوار، وهدفه أنّه يمثّل الجو النفسي، ويمهّد للأحداث التي تجري في إطار نفس المتلقي.

ويجمع النقاد على أهمية الوصف للسرد، ويغالي البعض بأهمية الوصف على أنّه يضيف إلى المسرود، ويكسبه قيمة عالية جدا[1].

والواقع أن بعض المواقف تتطلب السرد، لأنّها تحمل أحداثا خالصة، ومواقف أخرى تتطلب الوصف للحد من غلواء الحدث وسرعته، والتركيز على مشاهد معينة، والغرض من ذلك لفت انتباه القارئ إليها، ومن ثم فالمقام هو الذي يحدد ذلك.

ولقد أكثر (محمد عبد الحكم حسن) في توظيف الوصف لخدمة السرد حيث تخلل الوصف في السرد معظم أجزاء قصّه من ذلك عندما استهل روايته (بستان أبي الهوى).

ومن الوصف ــ أيضا ــ الذي أبدع فيه الكاتب مقت الطبيعة للفتاة الحبلى من الزنا في قصة (خطوطك لا يقرؤها أحد سواك)[2]" وحدي الآن أتأمل

---

(١) راجع : البداية في النص الروائي لنور الدين صدوق ٤٩ ط الأولى دار الحوار للنشر والتوزيع سوريا ١٩٩٤ م.

(٢) الفائزون مسابقة نجلا ء محمود محرم الدورة الثانية ٢٠٠٢ م ٢٩ : ٣٥.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الخطوط تكبر وتتشابك وتلتف حول رقبتي ويدي ــ تلك التي ترتعد ــ تتحسس تنقلاته وضرباته.

أفك بحذر هذا الحزام الذي يربط على بطني يكاد يخنقني ويخنقه.

كل الأشياء باتت تسحقني، حتى الكلب الأجرب الراقد هناك على حافة المصرف لم يعد يبتعد عن طريقي بل حملق في اليوم بعينين ماكرتين بت مثلك هنا بلا إقامة. العيون من حولي خطوط تلتف حول رقبتي، أتكور على نفسي، أنكفأ على حزني، وطفل في أحشائي.. " (١)

فالوصف لم يكن مجردا، حيث اتّسم بحركة الفعل، وانسجم مع تشكيلة بنية شخصية (الفتاة) الضحية التي بين أحشائها طفلها.

ونجد أنّ الوصف لدى الكاتب تارة يكون الهدف منه تمثيل الجو النفسي، ويمهّد للأحداث، وتارة أخرى يلعب دورا محوريا في بناء العمل الفني.

بعد هذا العرض للأسلوب، وطرقه عند (محمد عبد الحكم حسن) يمكننا الآن إجمال الحديث عن سمات اللغة، والأسلوب في قصص الكاتب على النحو التالي:

١ــ إنّ لغة الكاتب بدت في قصصه جميلة معبّرة، متدفقة شعرية شعورية، وقامت بوظيفتها في أداء المعنى المراد، لكنّها لم تصقل من جميع جوانبها، فشابها ما شوه من وجهها وكدّر من ألفها، كالاستطراد، والحشو، والغموض، وبعض الأخطاء الأسلوبية، والنحوية كفتح همزة إنّ

---

(١) السابق ٣٤.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بعد حيث وبعد القول والواجب كسرها، وإكثاره من التراكيب الغير صحيحة مثل: رغم والصواب على الرغم من...

٢ــ عوّل (محمد عبد الحكم حسن) في سرده على تقنيات السرد الحديثة منها: التلخيص، والوقفة، والثغرة، والمشهد وغير ذلك.

٣ ــ إنّ محفزات السرد عند الكاتب تتمثّل بالكشف عن سمات الشخصية المحورية التي تقوم بالحدث.

٤ ــ بدت بعض القصص تشكو من الإطالة غير المسوغة، فقد كانت تنتهي، ولا ينتهي السرد ــ وفي أحيان أخرى ــ ينتهي السرد، ولا تنتهي القصة.

وإذا كنّا نجتهد في فهم الحالة الثانية أعني انتهاء السرد قبل انتهاء القصة، فإننا لا نرى تسويغا للحالة الأولى.

لذا أزعم أنّه كان بالإمكان أن تكتب قصص الكاتب أقل مما هي عليه.

ولو أنّ الكاتب الذي حذق الإثبات في كثير من قصّه، قد حذق الحذف لبدا عمله أكثر صقلا، ولدفع عنه بعض الحشو، والمط الآيلين إلى الإملال.

٥ ــ لغة (محمد عبد الحكم حسن) عموما أثقلت بصور وتشبيهات كثيرة، بدت فيها القصة، وكأنّها لوحة من الفن التشكيلي، فأبرزها جميلة ملوّنة – على الرغم من– عاميتها –أحيانا–، وهي لا تقوى على هذا المسعى.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٦ ــ لغة قصص الكاتب تتراوح بين لغة الإبلاغ والشعر، وتقع في منطقة وسطى بين السائد والشعري، ونراها في كثير من الأحيان تتنازل عن وظيفتها التعبيرية من أجل وظيفة شعرية، وهو تنازل لا ينفع العمل القصصي دوما؛ ولعل السبب في ذلك أنّ الكاتب بدأ حياته شاعرا.

٧ ــ تتسلل في قصص الكاتب الأخطاء التركيبية من تقديم وتأخير لغير علة مفهومة، وتسود هذه الظاهرة معظم نتاجه القصصي.

وعلى الرغم من ذلك فإن لغة (محمد عبد الحكم حسن) تمثّلت خلقا سويا، فهي تشكّل معمارا فنيا صادرا عن كاتب مارس فن القصة منذ نعومة أظفاره متمكن من أدواته التعبيرية في أغلب الأحيان.

ولغته في قصّه تبدت جامعة بين شعرية القصّ، ووظيفة الإبلاغ، وبدت شعورية متدفقة، ولم يتوان الكاتب في كثير من الأحيان عن حشد الأسباب اللازمة لجعل لغته أدبية ممتازة، فالشحن الجمالي حاضر بقوة في قصصه.

٤- الزمان والمكان -

الزمان والمكان عنصران أساسان في العمل القصصي؛ لأن القصة مجموعة أحداث ومواقف، ولكل حدث زمان ومكان يتوقف عليهما فهم الوقائع وسلوك الأشخاص، وتقدير القيم التي يمثلونها.

وعنصرا الزمان والمكان لا غنى عنهما في العمل القصصي؛ لأن السرد لكي ينمو ويتطور لابد له من زمان ومكان، والحدث "لا يقدّم سوى مصحوبا

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بجميع إحداثياته الزمانية والمكانية، ومن دون وجود هذه المعطيات يستحيل أن يؤدي رسالته "[1].

وتحديد الزمان والمكان يساعدنا على فهم العادات، والتقاليد والقيم التي ظهرت في مواقف وسلوك الشخوص، لما بينهما من ارتباط.

والارتباط بكل ذلك ضروري لحيوية العمل القصصي ؛ لأنه يمثّل الجو النفسي الذي يمثّل فيه.

كما يلعب تحديد الزمان والمكان دورا محوريا ومهما في فهم الحالة النفسية في الشخصية إذ يقوم بالدور الذي تقوم به الموسيقى التصويرية.

الـــــزمـــــان

عنصر يستطيع الكتّاب أن يتعاملوا معه بأشكال مختلفة ــ وقد تناولنا تكنيك التعامل مع الزمن في قص الكاتب أثناء الحديث عن الحدث القصصي ــ فمنهم من يكسر أزمان السرد، فينتقل نقلات مباغتة من الحاضر إلى الماضي، وبالعكس لأغراض سردية، ودلالات بعيدها، ومن هذه الصورة في قصص (محمد عبد الحكم حسن) قصة (حائط من زجاج باهت)[2]، فالزمن الذي وقعت فيه الأحداث لا يتجاوز خمس دقائق وقت وقوف (البطل) على محطة السكة الحديد ينتظر القطار، والكاتب نجح في تحريك الأحداث والشخوص مرتبطا بالمقومات العامة للبيئة الزمانية، فبينما يسرد الراوي الأحداث، وانتظاره للقطار

---

(١) بنية الشكل الروائي لحسن بحراوي صـــ ٢٩ ط الأولى المركز الثقافي العربي بيروت ١٩٩٠ م.

(٢) ضمن مجموعة (لحظة سقوط الجسد) ٤٤ : ٥٤.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يهمس "يا ااه أخيرا قبلتني المصلحة أخيرا بعد كل هذا الانتظار، سوف أسير في كل الشوارع أحدق " ثم ينتقل بنا الكاتب إلى الماضي "راحت الصورة في ذهن إبراهيم تتداعى جلية هناك، بين تلافيف السنين البعيدة يتراءى له ذلك الواقف أمامه، طفلا مشاغبا يتنطط بين جنبات الفصل. "[1]

ثم ينتقل عن طريق الحوار إلى الحاضر، ومقابلته بصديق قديم في المحطة.

" ــ أين أيامك يا سيد ؟

ــ شغال وعال عال.

ــ وأنت ؟

ــ تنهد إبراهيم وهو يطرد ذبابة استقرت على القميص.

ــ أنا ذاهب القاهرة لتقديم أوراق الوظيفة."[2]

ومن خلال كسر الكاتب لأزمان السرد ينتقل نقلات مباغتة من الحاضر إلى الماضي، ويستمر كذلك حتى نهاية القصة، فيعبّر عن أزمة البطالة، وأزمة المواصلات كما تبرز لنا شخصية البطل السلبية، وهذه الصورة التي يكسر فيها الكاتب الزمن متعددة في قصّه منها قصة (أوراق ذرة يابسة)، وزمن العمل القصصي لدى الكاتب قد يطول فيشمل آلاف السنين كما في رواية (مجلس القمري)، أو يشمل حياة البطل كما في رواية (بستان أبي الهوى) وقد يستغرق

---

(١) السابق ٤٥.

(٢) السابق ٤٦.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

زمن القصة يوم كما في قصة (الظلام وحده لا يحجب الرؤية)، أو دقائق معدودة كما في قصة (حائط من زجاج باهت).

المكان:

" المكان هو الذي يؤسس الحكي؛ لأنه يجعل القصة المتخيلة ذات مظهر مماثل لمظهر الحقيقة "(١)

وتتعدد اختيارات الكتّاب له، فهو قد يكون قرية، أو مدينة، أوملعبا، أو قطارا، أو سجنا، أو رصيفا، أو محطة، أو بيتا، حقلا..الخ

وقد يجمع القاص بين أمكنة متعددة في القصة الواحدة، أو في قصصه المختلفة، وقد يكون المكان نظيفا، أو ملوثا، أو رحبا، أو ضيقا، وكل مكان يلعب دورا مهما في وعي الكاتب؛ ذلك لأن المكان يؤثر في المجتمع، ويصوغ مفاهيمه، وعاداته وتقاليده، وقيمه، ويجدد مساره.

ولا نعد أنفسنا مجانبين للصواب إذا قلنا: إنّ الريف الصعيدي هو البطل المحرك للشخوص، والأحداث القصصية لدى (محمد عبد الحكم حسن)، فالريف في الصعيد يشكّل ملامح الشخصيات الداخلية، والخارجية، ويصنع حركتها وميولها، وأفكارها، وعاداتها وتقاليدها.

ويهمنا في تناول الكاتب للمكان في قصصه مستويين:

الأول: مفردات وطبيعة المكان وأثره.

---

(١)بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي لحميد حمدان (دكتور)٦٥ ط الأولى المركز الثقافي العربي بيروت ١٩٩١ م.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الثاني: آلية ذلك المكان.

أما المستوى الأول: فتتميز مفردات المكان (القرية) عند الكاتب بالموقع الجغرافي النيلي، والأرض المخضرة، والمياه الصافية ففي رواية (بستان أبي الهوى) يتشكل المكان في قرية من قرى الصعيد، وكذلك في رواية (مجلس القمري)، ويتعلق بطل الروايتين بالمكان فعلاقة الشخصيات بالمكان علاقة كل وجزء.وقد يلعب المكان دورا محورا في قصص الكاتب في تكوين شخصياته فتتعلق الشخصيات بأرضها حتى مماتها، ومن خلال تناول المكان في قص الكاتب نلحظ طرح الكاتب لمشكلات المجتمع الصعيدي، ومعاناة ابن القرية." يا ابني، يا ضناي، حفنة تراب أرضنا اجعلها في قبري تشفع لي ولأبيك. . . ".[1]

كما لعب المكان، وهو(محطة القطار) دورا بارزا في إبراز مشاكل الشخصيات(كأزمة البطالة، والمواصلات، وأزمة الأخلاق) في قصة(حائط من زجاج باهت).

أما المستوى الثاني: آلية عرض وبناء المكان.

فقد اعتمد الكاتب في قصّه على وسائل فنية متعددة منها الوصف الواقعي التسجيلي، والوصف الخيالي، والإشارة بالأسماء كأنها لافتات مرورية- وقد تناولنا نماذج منها في تناولنا للوصف عند الكاتب-، وسوف نشير إليها بالتفصيل في الحديث عن وسائل الكاتب الفنية.

---

(١) قصة أوراق ذرة يابسة ضمن مجموعة (لحظة سقوط الجسد) ٧١.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٥ - العـــــــنوان:

يلعب العنوان دورا مهما في العمل القصـــصي، فهـــو عنـــصر فعّـــال مـــن عناصرها، وجزء لا يتجزأ من أجزاء النص الأدبي.

ومما لاشك فيه أن عناوين القصة تتنوع بتنوع الوظيفة فيها، فمنها: ما تحيل إلى مضمون القصة، أو تستمد من الهدف، ومن العـــناوين ما يلعـــب دورا في طبيعتها الإيحائية، وعناوين أخرى لها طبيعة استعارية، وكذلك تختلف العناوين من الناحية اللغوية، فبعضها يأتي كلمة واحدة، وبعـــضها كلمتـــين، أو ثـــلاث كلمات.

وقد يحمل العمل القصصي اسم مكان، ومنها ما يركّز على زمـــان، وقـــــد يكون العنوان جملة اسمية، أو فعلية.

وقد يكون أسلوبا استفهاميا، أو تعجبا، أو نداء، أو غير ذلك، وعلـــى كـــل فالعنوان قراءة الكاتب لنصه، وهويته التي يعبّر بها عنه.

وإذا كان اختيار العنوان للقصة يمثّل عنصرا من عناصر تشكيل الدلالة في النص الأدبي، فلقد تنزّلت العناوين منازل من حيث الفنية، والإيحاء والدقة عند (محمد عبد الحكم حسن) فمنها: ما هو كلمة كرواية (سر)، و(مطاردة)، ومنها ما تكوّن من كلمتين فأكثر، و(محمد عبد الحكم حسن) آثر الجملـــة الاســـمية على الجملة الفعلية، فلا نرى في قصّه عنوانا مكونا من جملة فعلية.

ونرى شبه الجملة في (مجلس القمري)، و(بستان أبي الهوى)، و(تراب البيت القديم).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وكثيرا ما عوّل الكاتب على المكان فيجعله عنوانا كما في قصة (بستان أبي الهوى) و(تراب البيت القديم)، و(المجانين على أبواب المدينة).

كما عوّل الكاتب على الزمان كما في (لحظة سقوط الجسد) و(موعد مع الضحك)، كما اختار عنوانات أخرى تشوش الأفكار من حيث الغموض كما في (خطوطك لا يقرؤها أحد سواك)، و(نبقة وحيدة وفرع عال)، و (الأشياء تستعيد تكوينها) فلا يتضح المعنى إلا بقراءة القصة .

ولقد شاب نتاج (محمد عبد الحكم حسن) القصصي فيما يتصل بالعنوان شائبة، وهي الإسراف في وضع العناوين داخل الرواية مما لا تخدم حبكتها، أو تواليها السردي، فبدت نوافل يمكن الاستغناء عنها بسهولة دون ضير، كما في رواية (التفاتة النمر) فنرى عناوين داخلية (الهروب من الظل)، ثم (وشم) ثم (وهيبة) ثم (أرجل الغربان) ثم (انتشار).٠٠ الخ مما يفقد الرواية وحدتها، ولا تخدم تواليها السردي.

وعموما فإنّ(محمد عبد الحكم حسن) كان دقيقا في اختياره لعناوينه، فلم يكن ليختار عناوينه جزافا، بل كان يكدّ عقله، ويعمل ذهنه، ثم يضعها تاجا على هامة قصصه.

وكثيرا ما نرى في هذه العناوين من تأمل وتدبر، ولا يمكن لناقد أن يطالب مبدع بتسمية الأشياء بأسمائها كما هي ؛ لأن تسمية الأشياء بأسمائها من شأنه الذهاب برونق العمل الذي هدفه الأساس المتعة من خلال التأمل، والتفكّر في مضمون العمل القصصي.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٦ ــ البداية والنهاية:

البداية هي استهلال القصة، وتلعب دورا حيويا في نجاح القصة، أو إخفاقها؛ لما فيها من تشويق وإثارة، وكذا بالنسبة للنهاية ففيها لحظة التنوير، وإبراز هدف القصة، وما فيها من مفاجآت.

وبداية القصة بمثابة تلخيص لها، وتشي بما سيأتي دون الصد عن التعامل مع باقي القصة، كما أنّها تضع المتلقي في السياق؛ لتثير فيه بمجرد قراءتها التساؤل عمّا سيكون فيما بعد(١).

وتتنوع بدايات القصة عند (محمد عبد الحكم حسن) فمنها البداية الشيقة، ومنها البداية الواصفة، وهناك البداية بذروة الحدث، بالإضافة إلى احتمالية كون العنوان بداية ناجحة للنص.

ففي قصة (الرقص مع الصور الباهتة)(٢) تعد بداية واصفة، وتنتمي إلى الوصف المشهدي القائم على جلاء الغموض عن حركة الأبطال، والكشف دون انفلات عنصري الزمان والمكان.

فالمكان هو بيت في إحدى القرى، والزمان في المساء حيث يعم الظلام، وتبدو لنا صورة كلية متكاملة العناصر والخطوط الفنية من لون وصوت وحركة.

"مساء على البيت الوسيع يحط فتنطلق حشرات الجدران والأكرة الصدئة حين

---

(١) راجع : البداية في النص الروائي لنور الدين صدوق صـ ١٩ ط الأولى دار الحوار للنشر والتوزيع سوريا ١٩٩٤.

(٢) ضمن مجموعة المجانين على أبواب المدينة صـ ١: ٩ مخطوط بحوزة الباحث.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تلف في الباب العتيق.. يندفع الهواء الرطب خارجا من مستطيل الضوء يصفع الباب وجه الشارع والعيون المتطفلة، وتعود الحشرات مسرعة تنحسر في الشقوق.

جسد وحيد ولفائف شتى وبيت على الذهر رابض بعمر الزمن، يحتوي بقايا مجد، وأسرار حكاية، حيث كانت رائحة الشواء وصوت الديوك الرومية، والموسيقى والطقاطق التركية، والشوارب المفتولة... "[1].

وكذلك بداية قصة (ثمن العودة) [2]تعتمد على الوصف " ضمه القطار واحتوته المزارع، وتفرقت نظراته على أرض الله الواسعة، وهي تدور من حوله.."[3]

أما في قصة (الأشياء تستعيد تكوينها)[4] فكانت البداية بذروة الحدث " وأظهر فجأة من مخبأ جانبي، أعرف أن حصانه لا ينظر إلا في اتجاه واحد، يخشى أن يلتفت فيقطع العربجي ذيله، ويصنع منه سوطا كالذي يلسع الآن مؤخرته المكتنزة"[5]، ونرى البداية الشيقة التي تثير القارئ في قصة (نقوش على الرمل)[6] "أراك الآن وقد وليت للنيل ظهرك والمراكب العابرة تودع قفا أزرق بلون الطمي، وشعرا أكرت وفانلة متسخة، وجلست أنت الولد العاشق

---

(١) السابق صـ ١٠

(٢) ضمن مجموعة (لحظة سقوط الجسد) ١٤، ١٥.

(٣) السابق ١٤.

(٤) إبداعات ملياوية الدورة الثامنة عشر لمؤتمر أدباء مصر في الأقاليم الهيئة العامة لقصور الثقافة مجموعة من الكتاب ١٧٥ :١٨٢ الملبا ٢٠٠٣.

(٥) السابق ١٧٥.

(٦) ضمن مجموعة لحظة سقوط الجسد ١٩ : ٢٤.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

للحكايات والقصص والمدن، وإضاءات النايلون على صفحة الليل تمسح بعيك المتعبتين ملامح المارة وعربات الحناطير، وهي تمضي على الأسفلت (م٠ح٠م٠د)" [١]، وقد تكون البداية عند الكاتب استفهاما مثل: (ظلال لا تعلي شيئا) [٢] "ما الذي يشعل الصليل في بيت جارنا.

جارنا الذي ما أرانا النهار وجهه ولا أنبأت عن قدومه العصافير" [٣]، ثم تمضي أحداث القصة عن طريق المنولوج حتى لحظة التنوير في القصة، وكثيرا ما تكون بدايات الكاتب تحديد زمان، أو مكان في قصة(ثمن العودة) [٤]يستهلها بقوله: "ضمه القطار " [٥]، وفي (اعترافات للوجه الآخر) [٦]يبدأها بقوله: "في شارع الحسيني لمحته على البعد يعافر "[٧]، وفي (حائط من زجاج باهت)[٨] يستهلها بـ:"على الرصيف..."[٩]، وفي قصة(الرقص مع الصور الباهتة)[١٠] يستهلها بقوله:" مساء على البيت الوسيع.. "[١١]

---

(١) السابق ١٩.

(٢) ضمن مجموعة (طفل النهار) مخطوط بحوزة الباحث.

(٣) السابق ١.

(٤) ضمن مجموعة (لحظة سقوط الجسد) ١٤، ١٥.

(٥) السابق ١٤.

(٦) ضمن مجموعة (لحظة سقوط الجسد) ٢٥ : ٢٩.

(٧) السابق ٢٥.

(٨) ضمن مجموعة (لحظة سقوط الجسد) ٤٤ : ٥٤.

(٩) السابق ٦٦.

(١٠) ضمن مجموعة (المجانين على أبواب المدينة) صـ ١: ٩ مخطوط بحوزة الباحث.

(١١) السابق ١.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ومن ثم تتنوع استهلالات (محمد عبد الحكم حسن) في قصّه، ولكل استهلال مقامه الذي يستدعيه، واستهلالاته -غالبا- تحمل نوعا من الإثـــارة والانتقـــال المفاجئ فهو يعمد إلى الإثارة وجذب الانتباه.

أما النهاية:

وهي اللمسة الأخيرة في القـــصة، ويكـــمن فيها عنـــصر التنـــوير النهـــائي للقصة، والنهاية قد تثير التعجب، أو السخرية، أو القلق، والتساؤل أحيانا.

وتتعدد أشكال النهايات في العمل القصصي، فمنهـــا: النهاية الواضحة، وفيها تحل المشكلة دون تعقيدات تذكر، والنهاية الإشكالية، وفيها تبقى المـــشكلة دون حل، والنهاية المعضلة، وفيها يمكن أن يكون الحل من خلال مشاركة القـــارئ في التوقع، والنهاية الواعدة، وفيها التنويه بمخارج كثيرة دون ذكرها صراحة، والنهاية المقلوبة، وفيها يتخذ البطل موقفا مناقضا لما كان في البداية، والنهايـــة المفاجئة، وفيها يفاجئ القارئ بحل غير متوقع(١).

واعتمد (محمد عبد الحكم حسن) نهايات متعددة في قصـــصه ففـــي قـــصة (خطوطك لا يقرؤها أحد سواك) (٢) بدت النهاية الواضحة بسطوع، حيث يقتل الأب ابنته التي حملت من الخطيئة " ذلك السكين الذي يطعن الآن فـــي خـــدر لذيذ جسدي الطري فأهوى وأتلوى على الخطوط أتحسسها أخاديـــد متـــشابكة

---

(١) راجع : القصة النظرية القصيرة النظرية والتقنية لانريكي اندرسون لامبرت ترجمة: علي إبراهيم علي منوفي صـــ ١٣٥ القاهرة ٢٠٠٠ م.

(٢) الفائزون مسابقة نجلا ء محمود محرم الدورة الثانية ٢٠٠٢ م صـــ ٢٩: ٣٥.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يتدفق فيها دمي الساخن.. يملؤها.. تلك الخطوط السميكة المتشابكة، والتي لا يقرؤها أحد سواك "[1].

واستعان الكاتب بالنهاية المفاجئة في ختام قصة (ثمن العودة)[2] فنرى النهاية بموت جميع سكان المدينة "موت جميع سكان المدينة، وقد أكدت المصادر الموثوق فيها أن سبب الموت اكتئاب نفسي ".[3]

ونرى النهاية المعضلة في قصة في (اعترافات للوجه الآخر)[4] فلم تبرز لنا النهاية سبب الاندثار الذي تحدّث الكاتب عنه في نهاية القصة، ولا ندري من الذين اندثروا فبعدما ضرب البطل وشتم، وهو في أحد الشوارع يقول:"وبين عناق يدي ووجوههم الشاجبة عيني وعيونهم دقات قلبي، وهمساتهم هوت اليد الثقيلة على عنقي أحسست بهم يدرون بي. يدروووو... .... واندثروا."[5]

والواقع أن أكثر نهايات (محمد عبد الحكم حسن) ترتبط بالموت، والفراق، وتتسم بالسوداوية، والرمز في أكثرها.

٧ ـ <u>المقابلة الثنائية:</u>

تبدو المقابلة الثنائية ظاهرة فنية بارزة في قصص (محمد عبد الحكم حسن)، ومن ذلك ما نجده في رواية (بستان أبي الهوى) التي تقوم على مقابلة ما

---

(١) السابق ٣٥.

(٢) ضمن مجموعة (لحظة سقوط الجسد) ١٤، ١٥.

(٣) السابق ١٥.

(٤) ضمن مجموعة (لحظة سقوط الجسد) ٢٥ : ٢٩.

(٥) السابق ٢٩.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كان في الماضي من قوة، وعز وسطوة لأسرة (الطوابين)، وما عليه حاضر هذه الأسرة من عربدة، وضعف، وفقد للقوة والأموال، فأبرزت لنا الرواية مدى التفاوت الطبقي بين العصور المتعددة، وتداول الأيام.

وكذلك في قصة (أوراق ذرة يابسة) حيث بدا الصراع جليا بين أصحاب رأس المال (ملاك الأرض) الإقطاعيين، بين الفلاحين البسطاء، فأبرزت لنا فسادا وصراعا وتفاوتا رهيبا بين طبقات المجتمع المتعددة.

ومن ثم أبرزت الثنائية، والصراع بين الماضي والحاضر، والموت والحياة، وبين الحرية والاستبداد، والحاكم والمحكومين، والغنى والفقر، خلق فكرا أدبيا أعان الكاتب في إبداعاته الأدبية، فتمكّن الكاتب من توظيفه في قصّه كما لعب هذا الصراع دورا جوهريا في البناء الفني للعمل القصصي لديه.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ثالثا: وسائل (محمد عبد الحكم حسن) الفنية.

١ ــ الاسترجاع: (Analpse:coup aprs prendre):

وفيه تناول حدث عن طريق التذكّر، ثم يعاود السرد فهو "أن يترك الراوي مستوى القص الأول ليعود إلى بعض الأحداث الماضية، ويرويها في لحظة لاحقة لحدوثها. والماضي يتميز أيضا بمستويات مختلفة متفاوتة من ماض بعيد، وقريب، ومن ذلك نشأت أنواع مختلفة من الاسترجاع."(١)

وهو وسيلة قصصية استعان بها (محمد عبد الحكم حسن) أسهمت في اكتمال أعماله الإبداعية حيث استطاع بواسطتها تناول أحداث ماضية عن طريق التذكّر، ثم يعود الكاتب بعد ذلك إلى متابعة سرده.

وتتمثّل أهمية الاسترجاع في إعفاء الكاتب من الاستطراد، ومساعدته على تجنب الحشو على العمل الأدبي إلا أن الإكثار منه قد يؤدي إلى إعاقة سير العمل القصصي.

واستعان الكاتب في قصصه بالعديد من أنواع الاسترجاع.

١ــ استرجاع خارجي: يعود إلى ما قبل بداية الرواية، واستعان به الكاتب لملء فراغات زمنية تساعد على فهم الأحداث، والاسترجاع الخارجي له نفس الوظيفة عند (محمد عبد الحكم حسن) كما في رواية (بستان أبي الهوى)، ورواية (مجلس القمري) ففي (بستان أبي الهوى) عاد إلى ما قبل بداية الرواية(وهو حدث بيع-أبي الهوى-لحماره ليشتري حذاء) ليتحدث لنا عن قدوم (أبو الهوى) إلى القرية،

---

(١) بناء الرواية لسيزا قاسم ٥٨.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وتزوجه من (بدور)، وفي رواية (مجلس القمري) عاد بنا الروي من الحاضر إلى عصر اخناتون.

ويستخدم الروائي أسلوب الاسترجاع الخارجي – أيضا – عندما يعود إلى شخصيات ظهرت بإيجاز في الافتتاحية، ولم يتسع المقام لعرض خلفيتها، أو تقديمها كشخصية (وهيبة) في رواية (التفاتة النمر) بعدما تحدث عنها، وتحدثت إلى الراوي عن سبب عملها استرجعت" أبويا يا ندر عيني مات صغير، كان الكبد بعيد عنك كان شغال زينا كده باليومية.. "[1].

٢– الاسترجاع الداخلي:كما استعان الكاتب بالاسترجاع الداخلي، فيتطلبه ترتيب القص الفني في العمل القصصي، وبه يعالج الكاتب الأحداث المتزامنة حيث يستلزم تتابع القص أن يترك الشخصية الأولى، ويعود إلى الوراء ليصاحب الشخصية الثانية، ومثال ذلك في رواية (التفاتة النمر) فالنص يقدّم لنا عمل البطل مع (وهيبة)، ثم يلي ذلك حديث (وهيبة) معه عن إخوتها عندما تجلس معه، وهي في وقت تناول الطعام، ثم يلتحم مستوى القص الأول مع الاسترجاع، ويستمر سيره بعد ذلك "لماذا أنا الوحيد الذي كانت تعتذر لي، وتعطيني كوب الشاي أولا وتفسح لي مكانا بجوارها على فرشة الغداء، وتسألني ساعة رحيلها أخر النهار إن كنت أريد شيئا وتحكي لي عن إخوتها الذين تقوم على تربيتهم، وأمها الكسيحة، والحجرة الرطبة التي تسكنها هناك في عرب الوالدة...

---

(١) رواية التفاتة النمر ١٤ مخطوط بحوزة الباحث.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أخويا الصغير يشبهلك كده يا بيه دمه شربات بس مغلبني، عاوز فلـــوس علـــى طول. . . "[1]

ثم يعود بنا الراوي إلى الحاضر فيقول: " والنبي يا بيه لتأكل دول: فيقشر عـــن وجوههم ويصيحون. . . "[2]

ومن ثم يعد الاسترجاع وسيلة فنية ناجحة أسهمت في إبراز فكر الكاتب.

٢ ــ المنولوج " Monologue ":

استخدم الكاتب خلال أعماله الفنية ما يسمى باسم (تيـــار الـــوعي الـــداخلي) للشخصـــية، أو بعبارة ثانية " النجوى النفسية " أو المنولوج الـــداخلي " حيـــث تترك الشخصية القصصية تناجي نفسها بكل ما يجول بخاطرها من أفكار.

وهو من الوسائل التي استطاع أن يوظفها (محمد عبد الحكم) في قصـــصه، وفيه تقوم الشخصية بمناجاة نفسها بكل ما يدور بخاطرها، فـــ"هو حديث ــ بلا صـــوت ــ يدور في العالم الداخلي للشخصية، وفيه تكلـــم الشخـــصية نفـــسها بحديث خاص جدا، قد لا تقدر أولا تستطيع، أو لا تريد البوح به "[3].

واعتمد الكاتب على تيار الوعي الداخلي (المنولوج) مما منح أعماله الفنية رونقا وبريقا من خلال كشفه عن نفسية الشخوص سواء كان المنولوج مباشرا، أم غـــير مباشر ففي المنولوج المباشر يكون من الشخصية إلى القارئ مـــباشرة

---

(١) السابق نفس الصفحة.

(٢)السابق نفس الصفحة.

(٣) بنية الرواية لسعيد الطواب (دكتور) صـــــ ١٥٢ مطبعة أبو هلال المنيا بدون تاريخ.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

دون تدخّل من الكاتب كما في قصة (خطوطك لا يقرؤها أحد سواك)[١] حيث استطاع المنولوج الداخلي في القصة أن يدخلنا مباشرة إلى الحياة الداخلية للشخصية، وفي تفهم التداعي الحر للأفكار في جدلية مباشرة شديدة التركيز محكمة الصنعة، وساعد على إبراز هذا الدور للمنولوج اعتماد النظام التركيبي في القصة على الوقائع المتخيلة، ومنها " وحدي الآن أتأمل الخطوط تكبر وتتشابك تلتف حول رقبتي، ويدي ــ تلك التي ترتعد ــ تتحسس تنقلاته وضرباته أفك بحذر هذا الحزام الذي يربط على بطني، يكاد يخنقني ويخنقه.

كل الأشياء باتت تسحقني، حتى الكلب الأجرب الراقد هناك على حافة المصرف لم يعد يبتعد عن طريقي بل حملق في اليوم بعينين ماكرتين. بت منك هنا بلا إقامة "[٢] .

بينما نرى المنولوج غير مباشر في قصة (سوق الأنفار)[٣] عندما يتحدث الكاتب عن قسوة الحياة نرى الكاتب في مادة غير متكلم بها " وراحت العيون المتعبة تنظر في اتجاه بعيد بعد شهقة اندهاش كبيرة سحقت كل الأشياء وتخطت العمارات المجاورة واستسلمت الوجوه الشاحبة،الصمت طويل، وهم يتذكرون الأكباد الجائعة، وخزين البيت الذي نفد وموسم الصاد البعيد وانغرست الكلمات في أعضائهم التي ارتخت، وراح أبو زعزوعة وهو الذي لم يصدق في كلامه

---

(١) الفائزون مسابقة نجلا ء محمود محرم الدورة الثانية ٢٠٠٢ م صـ ٢٩: ٣٥.

(٢) السابق ٣٤.

(٣) ضمن مجموعة (لحظة سقوط الجسد)٣٠ :٣٤.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أبدا يقرش الكشكات على مهل وخياله الخصب من تحت العمامة يبحث عن عمل آخر عند بيه آخر وفي شقة أخرى " [1].

ويكشف المنولوج الغير مباشر عن قسوة الحياة التي يعانيها أبناء الريف في الصعيد المصري، وعدم قدرتهم على التغلب عليها على الرغم من عملهم بالمدينة.

ومن ثم كان للمنولوج سواء المباشر، أم غير المباشر دورا في الإقناع مما جعل قصص (محمد عبد الحكم حسن) يمتاز بجدلية فنية شديدة التركيز محكمة الصنعة الفنية.

٣ـــ توظيف التراث:

لجأ كثير من الكتّاب في العصر الحديث إلى توظيف التراث في نتاجهم القصصي بهدف تأصيل هذا النتاج، وتخليصه من أسر الرواية الغربية من جهة، وإعادة قراءة التراث من جديد في ضوء المستجدات الراهنة التي فرضت على الذات مراجعة الماضي من جهة أخرى، وهكذا اتجهوا في توظيفهم للتراث من خلال إسقاط التاريخ على الحاضر، وقراءة الحاضر في ضوء الماضي.

ويعد (محمد عبد الحكم حسن) أحد هؤلاء الكتّاب وقد استطاع الكاتب أن يتجاوز مرحلة إحياء التراث إلى توظيفه توظيفا فنيا واعيا، وإعادة تشكيله من جديد.

---

(١) السابق ٣٤.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

اعتمد (محمد عبد الحكم حسن) في قصّه على التراث، ووظّفه توظيفا فنيا ناضجا ومعاصرا، فكان الكاتب - في أحيان كثيرة - يستوحي قصّه من التراث لكي يكون أداة للتعبير عن واقع معاصر.

واتضح ذلك في رواية (مجلس القمري)، وفيها تناول الكاتب الشخصية التراثية الفرعونية، فأخذ منها الهدف، والرمز " ويعدل من تاج مرصع بالأفاعي الذهبية وضعه أخناتون على رأس جدك الآن في تجمع من المجمع المقدس، والتفاف الكهنة والحلوط المبارك، والعربة الحربية، وكرسي بجوار الملك يقعد عليه متابعا آخر أوامر الملك بتلصيبه حارسا على المقابر الملكية، وحدك الذي يدور الآن في الفراغ الذي امتلأ بالأجساد والأطفال والمتفرجين. لا يسمع للنداءات واستغاثات الأبناء والبكاء المنهمر من عيون بناته... "(١).

٤ ــ استخدام الأحلام:

استطاع الكاتب ببراعة واقتدار توظيف الحلم كوسيلة قصصية أسهمت في تنمية الحدث القصصي، وأبرزت ما تموج به أعماق الشخصيات، وساعدت على تحديد أبعادها، وتجسيد ملامحها.

واقد كان (محمد عبد الحكم حسن) على وعي تام بأهمية الحلم كوسيلة فنية، فلقد نجح في استخدام هذه الوسيلة في أعماله الفنية.

وبدا ذلك في كثير من أعماله منها:(الرقص مع الصور الباهتة)(٣) فيستغرق الحلم زمن القصة حيث يعيش مع ماضيه عندما يأتي المساء، ثم يستيقظ في الصباح.

---

(١) رواية مجلس القمري ٦.

(٣) ضمن مجموعة المجانين على أبواب المدينة صـ ١: ٨ مخطوط بحوزة الباحث.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

" ـ صباح خورات

قالها النهار البكر المنسلخ عن عتمة الليل.

وزعزع بحفنة من الضوء عينيه الهائمتين. . . "[1]

وفي رواية (بستان أبي الهوى) يتراءى لنا حلم (أبي الهوى) الشاب الفتى الذي يسعى لتحقيق طموحاته، وحلم زوجته (بدور) الفلاحة التي تسعى إلى تحقيق طموحاتها.

كما استعان الكاتب بالأحلام الزائفة في قصة (خطوطك لا يقرؤها أحد سواك)[2] وكيف كانت هذه الأحلام دافعا لارتكاب جريمة الزنا، وما تلا ذلك من حمل، ثم قتل الفتاة القروية البسيطة فالأحلام الكاذبة لعبت دورا في تيسير أمر الرذيلة فيقول: " وأتخيلني معك في هذا الزحام المندهش لرقصنا الجنوبي.

والمطرب النحيل ينهل من بحر المواويل، ويصب بصوت حنون، فيرتعد العصفور الساكن بين ضلوعي ويغب ويشرب، يرقص يخفق ويحلق بين الضلوع، ضلوعي التي تدغدغها أصابعك المرحة فتعلو ضحكاتي أنا. وأنت. . هكذا أوهمني خيالي الشقي "[3].

---

(١) السابق ٤.

(٢) الفائزون مسابقة نجلاء محمود محرم الدورة الثانية ٢٠٠٢ م٢٩ : ٣٥.

(٣) السابق ٣١.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٥ــــ توظيف معلوماته من خلال عملية القص:

استطاع الكاتب أن يستخدم ببراعة مخزون معلوماتــه كوســيلة قصــصية للإسهام في الربط بين العمل الفني، والواقع المعيشي، وقد بدت هذه المعلومات في صور مختلفة فمنها:

اقتصادية: كحديثه عن قانون الضريبة فــي قــصة (أوراق ذرة يابــسة)[١] " ورقص وباقي الملاك في الحقول وشواش النخيل، صــرخت أمــي وضــاعت صرختها بين أبواق السيارات العاليــة والأعيــرة الناريــة، ومالــك الأرض استلمها"[٢]، وكحديثه عن الخصخصة في رواية (مجلس القمري)[٣].

ومن معلوماته التاريخية: حديثه عن (أخناتون)، وحفر قناة السويس في روايــة (مجلس القمري)٠

ومن معلوماته الطبية: حديثه عن بعض الأمراض العضوية في قصة (لحظــة سقوط الجسد)[٤] " أخبرني الطبيب بأن حالة أبي متأخرة، وأن الجلكوما ستطفئ النور من عينيه تماما، فجدت بالدمع وابتل جلبابي المتهرئ وسمع أبي شهقاتي وعيناه تخوضان في الظلام السرمدي فبكى بصوت مرتفع..

---

(١) ضمن مجموعة (لحظة سقوط الجسد) ٦٠: ٧٦.

(٢) السابق ٧٠.

(٣) مخطوط بحوزة الباحث.

(٤) ضمن مجموعة (لحظة سقوط الجسد) ٣٥ : ٤٠.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

قال أخصائي التحاليل في مستشفى المنيا العام أن دمي لا يصلح أن يضخ في شرايين بنت أختي المصابة بجفاف حاد ولما قلت أن فصيلتي نفس فصيلتها همس في أذني: ــ عندك فيروس ــ C ــ

فتركت لقدمي المنهكتين السير بلا هدف "[1]

٦ــ الرمز:

وهو" الإشارة، والإيماء بالشفتين أو العينين أو الحاجبين أو الفم أو اليد أو اللسان "[2]، وهو" أن تشير إلى القريب منك على سبيل الخفية "[3].

فالرمز هو التعبير الغير مباشر عن طريق التلميح عن شيء خفي، ويستعين به الأديب لإبراز صوره الإبداعية.

ولجأ (محمد عبد الحكم حسن) إلى الرمز في بنيته القصصية بهدف التعبير عن واقع اجتماعي، أو فكر معين لا يمكنه التصريح به بطريقة موضوعية، وقد تعددت الرموز، وتنوعت في قصه، فهو يعمد إلى الخلط بين الماضي والحاضر مما يكسب القصة أبعادا متعددة فتارة يتناول الحاضر، ثم ينتقل إلى الماضي، ثم يعود إلى الحاضر، وهكذا فيكتسب النص دلالات رمزية لا حصر لها، وإسقاطات لا حد لها كما في قصة (أوراق ذرة يابسة)[4].

---

(١) السابق ٣٦.

(٢)القاموس المحيط للفيروز آبادي " مجد الدين محمد بن يعقوب " جـ ١ صـ ٦٥٩ مؤسسة الرسالة بيروت لبنان بدون تاريخ.

(٣) الإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني صـ ٣٠٩ ط الرابعة دار إحياء العلوم بيروت لبنان١٤١٩ هـ ١٩٩٨ م.

(٤) ضمن مجموعة (لحظة سقوط الجسد) ٦٠: ٧٦.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والتعبير الرمزي على مستوى العبارة، أو على مستوى الإسقاط يبدو جليا في قصص الكاتب فقصته (فرس النمل)[1] هي المعادل الرامز للسلاح، والردع الذي يمكن من خلاله رد الظلم، والعدوان فيحاول الطفل أن يصنع فرس من نمل ليكبر، ويمتطيه.

" ــ شايف إيه يا ولد

ــ إيه ده يا خوي ؟

ــ فرس النمل يا ولد.

يحكي له كيف يغذيه ليكبر، ويدور في حقلنا الكبير "[2].

وكثيرا ما يلجأ الكاتب إلى الموت، ويجعله نهاية لقصته؛ ليرمز به إلى ضعف أبناء الصعيد، وعدم قدرتهم، وعجزهم على مواجهة مشاكلهم، ففي قصة (الظلام وحده لا يحجب الرؤية)[3] يختمها بقوله:"حملقت في التراب فلم أجد آثارا لقدميها"[4].

وفي قصة (ثمن العودة)[5] " موت جميع سكان المدينة، وقد أكدت جميع المصادر الموثوق فيها أن سبب الموت إكتئاب نفسي "[6].

---

(١) ضمن مجموعة المجانين على أبواب المدينة مخطوط بحوزة الباحث.

(٢) السابق ١، ٢.

(٣) ضمن مجموعة (لحظة سقوط الجسد) ٥ : ٩.

(٤) السابق ٩.

(٥) ضمن مجموعة (لحظة سقوط الجسد) ١٤ ، ١٥.

(٦) السابق ١٥.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وفي قصة (اعترافات للوجه الآخر)[1] " وبين عناق يدي ووجوههم الشاحبة عيني، وعيونهم، دقات قلبي وهمساتهم، هوت اليد الثقيلة على عنقي، أحسست بهم يدورون بي يدوروون،،،،، واندثروا "[2]

وفي قصة (خطوطك لا يقرؤها أحد سواك)[3] قتل الفتاة الزانية، وفي رواية (التفاتة الذمر) [4] موت (وهيبة)، وفي رواية (بستان أبي الهوى) موت أبي الهوى.

فيرمز الكاتب إلى عجز الإنسان فيمثل الموت التحدي الأكبر لحرية الإنسان، فالإنسان يستطيع أنْ يثور على كل أوضاعه في الحياة، ولكنّه لا يستطيع أن يثور على الموت، بل يقف إزاءه عاجزا مكتوف اليدين لا يملك شيئا.

فقسوة الحياة أمام أبناء الصعيد لا يمكن مواجهتها، أو صدّها، وهكذا فقد لعب الرمز في قصص(محمد عبد الحكم حسن) دورا فعالا في البنية الفنية إلى جانب إسهامه في إبراز فكره السوداوي المأساوي، وإن أخذ شكل الخيال الجامح (الفانتازي).

وبعد: فقد عرض هذا البحث لمعالم الفن القصصي لدى الكاتب (محمد عبد الحكم حسن) وقد حاولت من خلاله أن أكشف عن بعض الجوانب الموضوعية، والفنية لهذا الأديب، وأمل أن يواصل الدارسون للأدب، والباحثون عن الجديد

---

(١) ضمن مجموعة (لحظة سقوط الجسد) ٢٥ :٢٩.

(٢) السابق ٢٩.

(٣) مسابقة نجلاء محمود محرم الدورة الثانية ٢٠٠٢ م ص ٢٩: ٣٥.

(٤) مخطوط بحوزة الباحث.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الكشف عن نواح أخر لهذا الأديب مما ندّ عنه باعي، والوصول إلى نقاط أبعد مما أتيح لي من خلال هذا البحث الوجيز.

وأحمد الله، وأشكره أن أعانني على إماطة اللثام عن قاص من طراز فريد، وعلى الرغم من تمكّنه من أدواته القصصية، وإخلاصه لعمله القصصي منذ نعومة أظفاره، وانتشار نتاجه الأدبي، وتكريمه في المحافل الأدبية، وحصوله على العديد من الجوائز الأدبية إلا أنّه لاقى إجحافا كبيرا من الباحثين، فظل أرضا بكرا، أسأل الله العظيم أن يجعلها مثمرة، وأن يتقبل مني ما غرست فيها.

ولا يمكن لنا في النهاية إلا أن نعلن عن (محمد عبد الحكم حسن) قاصا من الطراز الأول، رسخت أقدامه في ساحة الإبداع بقوة، وترك بصمات إصبعه على صفحات العمل القصصي.

ولعلي بهذا العرض أكون قد بلغت الغاية، والهدف، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب، وصلي الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، والحمد لله رب العالمين.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مصادر البحث ومراجعه

أبو العلاء المعري: أحمد بن عبد الله بن سليمان التنوخي المعري المتوفى سنة(٤٤٩هـ) "

ـ اللزوميات تحقيق / أمين عبد العزيز الخانجي. مكتبة الهلال بيروت ومكتبة الخانجي القاهرة بدون تاريخ.

أميرة حلمي مطر (دكتورة):

ـ مقدمة في علم الجمال وفلسفة الفن.الطبعة الثالثة دار غريب القاهرة بدون تاريخ.

جبور عبد النور:

ـ المعجم الأدبي.الطبعة الأولى دار العلم للملايين بيروت ١٩٧٩ م.

حسن بحراوي

ـ بنية النص الشكل الروائي. الطبعة الأولى المركز الثقافي العربي بيروت ١٩٩٠م.

حميد الحمداني (دكتور):

ـ بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي.الطبعة الأولى المركز الثقافي العربي بيروت ١٩٩١ م.

الخطيب القزويني: " جلال الدين محمد بن عبد الرحمن بن عمر المتوفى سنة (٧٣٩هـ).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ـ الإيضاح في علوم البلاغة. الطبعة الرابعة دار إحياء العلوم بيروت لبنان ١٤١٩هـ ١٩٩٨م.

رشاد رشدي (دكتور):

ـ فن القصة القصيرة. الطبعة الخامسة المكتب المصري الحديث ١٩٨٢م.

سعيد الطواب (دكتور):

ـ بناء الرواية. مطبعة أبو هلال العليا بدون تاريخ.

عبد المحسن طه بدر (دكتور):

ـ تطور الرواية العربية الحديثة في مصر.القاهرة دار المعارف ط الثالثة ١٩٧٧م.

عبد الملك مرتاض (دكتور):

ـ في نظرية الرواية " بحث في تقنيات السرد".عالم المعرفة الكويت بدون تاريخ.

عز الدين إسماعيل (دكتور):

ـ الأدب وفنونه. الطبعة السابعة دار الفكر ١٩٧٨ م.

عمر عبد المعبود عبد الرحمن (دكتور):

ـ محمد الخضري عبد الحميد ومعالم فنه القصصي. مطبعة الأمل أسيوط١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

غالي شكري (دكتور):

ـ أزمة الجنس في القصة العربية.الطبعة الأولى دار الشروق القاهرة بدون تاريخ.

الفيروز آبادي: " مجد الدين محمد بن يعقوب المتوفى سنة (٨١٧ هـ)"

ـ القاموس المحيط.مؤسسة الرسالة بيروت لبنان بدون تاريخ.

لامبرت " لاريكي اندرسون لامبرت "

ـ القصة القصيرة " النظرية والتقنية ".ترجمة:علي إبراهيم علي منوفي القاهرة ٢٠٠٠م.

محمد عبد الحكم حسن:

ـ لحظة سقوط الجسد.مجموعة قصصية ط الهيئة العامة لقصور الثقافة إقليم وسط وجنوب الصعيد ٢٠٠٠ م.

ـ بستان أبي الهوى.رواية ط مجموعة أجيال لخدمات التسويق والنشر والإنتاج الثقافي ط القاهرة ٢٠٠٨ م.

محمد عنانى (دكتور):

ـ الأدب وفنونه.الطبعة الثانية الهيئة العامة المصرية للكتاب ١٩٩١م.

محمد غنيمي هلال (دكتور):

ـ النقد الأدبي الحديث.دار الثقافة بيروت لبنان بدون تاريخ.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

محمد النويهي (دكتور):

ـ ثقافة الناقد الأدبي.دار الثقافة بيروت بدون تاريخ.

مصطفى ساجد (دكتور):

ـ بناء الشخصية في الرواية.الطبعة الأولى مركز عبادي صنعاء ٢٠٠٣م.

مصطفى سويف (دكتور):

ـ الأسس النفسية للإبداع الفني. الطبعة الرابعة دار المعارف ١٩٨٨١ م.

نور الدين صدوق:

ـ البداية في النص الروائي.الطبعة الأولى دار الحوار للنشر والتوزيع سوريا ١٩٩٤ م.

يوسف الشاروني:

ـ القصة تطورا وتمردا.الطبعة الثانية مركز الحضارة العربية القاهرة٢٠٠١م.

المخطوطات:

مخطوط بعنوان"التفاتة النمر"رواية لمحمد عبد الحكم حسن.

مخطوط بعنوان " تراب البيت القديم "مجموعة قصصية لمحمد عبد الحكم حسن.

مخطوط بعنوان "سر" رواية لمحمد عبد الحكم حسن.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مخطوط بعنوان" المجانين على أبواب المدينة"مجموعة قصصية لمحمد عبد الحكم حسن.

مخطوط بعنوان "مجلس القمري"رواية لمحمد عبد الحكم حسن

مخطوط بعنوان"مجموعة من القصص القصيرة" لمحمد عبد الحكم حسن.

حوليات:

ـ إبداعات منياوية الدورة الثامنة عشر لمؤتمر أدباء مصر في الأقاليم الهيئة العامة لقصور الثقافة ٢٠٠٣ م.

ـ الفائزون مسابقة نجلاء محمود محرم الدورة الثانية ٢٠٠٢ م ط الأولى مركز الحضارة العربية القاهرة.

ـ مجلة كلية اللغة العربية بإيتاي البارود العدد الرابع عشر ١٤١٨هـ ١٩٩٨م

حديث مسجل أجري مع (محمد عبد الحكم حسن)" بحوزة الباحث ".

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner